


يا شباب بلادي..

شعر: سمو الأمير عبد الله الفيصل

مرحى فقد وضح الصواب ... وهفا إلى المجد الشباب
عجلان ينتهب الخطى ... هيمان يستدني السحاب
في روحه أمل يضي ... ء وفي شبيبته غلاب
قد فارق الجهل السقيم ... وهش للعمل اللباب
ورنا إلى مستقبل ... يرقى له متن الصعاب
قد راح يستهدي العلا ... ويصارع الموج العباب
في الأرض أو في البحر أو ... في الجو فوق ذرى الضباب
ذاكم لعمري عدة الو ... طن الكريم المستطاب
ما المجد يطلب بالمنى ... كلا ولا السمر القضاب

المجد يبني بالعلو ... م تهز عالمنا العجاب
والعلم راية شعب ... ناهض سامي الرغاب
وعليه فلنبن الحياة ... ولا نساوم في الثواب

ولننطلق في عزمنا ... مثل انطلاقات الشهاب
كيما نرى فوق السها ... كيما نمجد في المآب
هذي نصيحة مخلص ... يهوى المجادة والطلاب
كرمتموني دائماً ... فلكم حياتي يا شباب







يشهدُ الله..

شعر الدكتور: غازي القصيبي

يشهدُ الله أنكم شهداء
يشهدُ الأنبياءُ.. والأولياءُ
متم كي تعزّ كلمة ربي
في ربوع أعزها الإسراءُ
إنتحرتم؟! نحن الذين انتحرنا
بحياة.. أمواتها الأحياءُ

*   *   *

أيها القومُ! نحن مُتنا.. فهيّا
نستمع ما يقول فينا الرثاءُ
قد عجزنا.. حتى شكا العجزُ منّا
وبكينا.. حتى ازدرانا البكاء
وركعنا.. حتى اشمأزّ ركوعٌ
ورجونا.. حتى استغاث الرجاءُ
وشكونا إلى طواغيت بيت
أبيض.. ملءُ قلبهِ الظلماءُ







ولثمنا حذاء "شارون" .. حتى

صاحَ "مهلاً! قطعتموني!" الحذاءُ

أيها القوم! نحن مُتنا.. ولكن

أنِفت أن تضمنا الغَبراءُ

*　　　*　　　*

قلِ "لآيات" يا عروس العوالي!

كلّ حسنٍ لمقلتيك الفداءُ

حين يُخصى الفحول.. صفوةُ قومي

تتصدى للمجرم الحسناءُ

تلثمُ الموت وهي تضحكُ بِشراً

ومن الموت يهربُ الزعماءُ

فتحت بابها الجنانُ.. وحيّتْ

وتلقتك فاطمُ الزهراءُ

قل لمن دَبّجوا الفتاوي : رويداً!

رُبَّ فتوى تضجُّ منها السماءُ

حين يدعو الجهاد.. يصمت حبرٌ

ويراعٌ.. والكتبُ.. والفقهاءُ

حين يدعو الجهادُ.. لا استفتاءُ

الفتاوى، يوم الجهاد، الدماءُ!




هبطت عليك من المحل الأرفع

بقلم:
عبد العزيز
بن عبد المحسن التويجري

إلى كل قلب خفق بالحب، وحمله بين جوانحه إشراقة روحية..

إلى كل من كابده من أجل أن يكون للحياة معناها الكريم..

إلى كل من قهر شروره وأعطى خيره..

إلى كل من لم تحمله أنانيته وقصر نظره على تجاوز القيم والمثل..

إلى كل من ألهمه إيمانه وألهمته بصيرته رؤية المدفن على عتبة بيته فاتعظ..

أهدي هذه الرسائل....

ولدي..

يوم يقف الإنسان أمام مرآة هذا الكون ويمد عنقه على مرآته يطاوله، ألا يمكن له أن يتساءل ما هذه الأجرام الكونية الضخمة؟ ما هذا البعد اللامتناهي؟ ما هذه الشموس والأقمار؟ ما هذه النجوم التي ضربت خيامها في القبة الزرقاء؟

لا أدري من ألقى السؤال تلو السؤال في تاريخ البشرية؟ ومن لم يلقه أو يدر عن ذلك شيئاً، هي حالة لا يثيرها في نفس الإنسان إلاَّ إحساسه وشعوره وتساؤله عن دوره في هذه الحياة، واللائمة التي كثيراً ما لازمتني وأثارت السؤال تلو السؤال عندي أهي جنازة خائفة من الدفن أم إنها حمامة دوح:

هبطت عليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تحجب وتمنع

صورة الجنازة في الكفن أهي الشجرة التي لا منازل لورقاء الفيلسوف سواها تحط عليه ثم ترحل عنه؟ أتراها سعدت بهبوطها على هذه الشجرة ومرافقتها في هذه الحياة؟ لا أتصور أن السعادة هي في منازل الشجرة الإنسانية إذ صارت إلى أطيان وأتربة وجوع كجوع الذئاب أبداً، لا تكون السعادة إلاَّ حين تظل الشجرة مورقة مليئة بالحياة نظيفة في جذورها لا تقبل شراباً إلاَّ من مياه السحب، فهي لا ترد المياه الكدرة ولو أعياها الظمأ، لأن الطين والمستنقع عائلة واحدة.

وما ملهاتي وتحويل ذرات الرمال التي تحركها الرياح داخل نفسي في هذه الرسائل، إلاَّ محاولة تسير إليك وهي خائفة وغير آمنة في طريقها مع الخطأ والصواب، لكن السنين الطويلة التي أتعجل معها الوقوف أمام تلك الصورة التي علقها الشاعر القديم على حائط الزمن وقال:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
يوماً على آلة حدباء محمول

تجعلني أحاول كثيراً أن أختفي وراء الضباب في مثل هذه اللقاءات معك، ولكن الضباب غير الغمام وغير السحب، هو جهام كثيراً ما حجب ضوء الشمس والقمر عن الإنسان وأخطر منه ضباب النفس.

ولدي..

لماذا هذه الزلزلة النفسية هذا الهذيان؟ أأنا تائه أبحث عن هاد ودليل؟ أم أني رجل تسلطت عليه فكرة التناقض والتداعي فأحالها إليك وديعة من ودائع النفس وميراثاً من مواريث الآباء؟ كثيراً ما أطرح السؤال، وقليلاً ما أجيب عليه، لأن الذين تصوروا أنهم أعطوا لكل سؤال جوابه وأسرفوا في ذلك ما أكثر خطأهم وما أقل صوابهم! فالطريق الواسعة التي تمشي عليها أقدام التساؤلات يقابلها في الطريق الضنك الجواب متعالياً على ألاَّ يقول لا أدري..

وهنا مربط الفرس في تاريخ البشرية..!

وقصتي مع الحياة كلما فتحت كتابها لأقرأه جفلت منه، وجفولي كجفول جمل لم يُدَرِّبهُ صاحبه على تجاوز الظلام في دروب وعرة: كلّما فر طائر من أمامه جفل، وكلما اعترضه شبح من أشباح الصور جفل حتى لم يبق لراكبه مكان على ظهره، والرعب وحب الحياة إن كان في الإنسان أو الحيوان في طبعه منذ تكوّن.

أهي حالة لازمته في فطرته وفي تكوينه؟ أهو لقاح حملته كل أنثى في جيبها الخاص ثم أخرجته منه حاملاً معه هذا الميراث؟

لا أدري!

ما أجمل لا أدري وأقواها متكأ يسند عليه الإنسان الجاهل عجزه وضعفه حتى لا يسقط في الفراغ..

ولدي..

متى يصغي الإنسان إلى ما في داخله؟

متى يبحر في جداول النفس؟

متى ينزل من فوق التلال الترابية والجبال الرملية إلى أن يرى المعنى الكريم الذي أكرم به هذا الإنسان؟

أيمكن لي هنا أن أتساءل، ما معنى الكرامة التي أكرمه الله بها؟

أهي صورته التي كثيراً ما أوقفها أمام مرآته متجملاً لها ظاناً أن المرآة تجيبه، هذا هو الجمال وهذه هي الكرامة..

أصحيح أن الإنسان قدّر نفسه ووعى مفهوم الكرامة؟ أيجوز لي أن أتجاوز صورتي في المرآة، أو صورتي يوم ألبس ثياب عيدي؟ أأتجاوز نفاق المنافقين من حول عمرو أو زيد؟

ولكن إذا تجاوزت كل هذا فإلى أين أتجه؟ لست حديد البصر، فجدتنا زرقاء اليمامة لم تورثني قوة بصرها، غير أني لا أقول أتصور، ولكني أؤمن كل الإيمان أن للإنسان شأناً عظيماً ودوراً جسيماً قليل من وعاه وصانه!

يوم تقابلني نفسي في مراحل العمر وتقف أمامي وأنا مع مثل هذه الرسائل أخجل من أشياء كثيرة لا أحملها هنا ولا أقبل أن تكون محسوبة على آدميتي التي أكرمها الله. لو فعلت ذلك لتناقضت الحقيقة وتبددت وصارت إلى فراغ وتناقض لا تعود إليه صورته الجميلة.

ولمن يحاول أن يغالط في الحقائق نفسه، عليه أن يدرب هذه النفس ويفك إسارها الذي قيدتها به علل كثيرة وأمراض خلقية، وليجر التجربة مع التساؤلات ومع الطريق النظيف، ليمد ذراعه وإن كان قصيراً ما بين الكهف الذي هبط منه وأخلى مكانه لأوجاع الأم وبين المدفن الذي أعده له أجله وظل في انتظاره صباح مساء.

هذه المسافة القصيرة جداً بكل ما فيها من أوجاع وآلام ومعاناة، بكل ما فيها من مجهول ورعب وخوف وتسلط إن كان في داخل النفس أو خارجها، ألا يمكن أن نعلق العبرة والموعظة أو الصورة فوق حائط الذهن لا لنخلق الشقاء ولكن لنوجد التفاؤل ولننصرف في اتجاه الفضيلة..!

ولدي..

أتراني تحولت إلى واعظ؟ نعم، سأظل واعظاً لك بكل وسيلة من الوسائل التي أستطيع أن اقبض عليها، ثم بعد هذا لعلك تطرح السؤال: هل ما يقوله أبي هنا أو هناك سلوك شامل كل مراحل حياته ومالك عليه تفكيره؟ وهل كان أميناً في ممارسته؟ فأقول لك لا ألف مرة، أنا غريق مع الغرقى، لأني غريق هذا صراخي وهذا ندائي لمن يستطيع أن يأخذ بيدي ويساعدني من خيار الناس الذين قد لا نحس بهم ولا ندر بهم..

ربما تواروا في أعماق القاع لأن فيه الأصداف الثمينة وتركوا السطح لفقاقيع الأمواج الصاخبة والثائرة بالغضب..




السِّدْرُ المُعَتَّقُ

شعر : خالد محمد الخنين

الشوق يوُجع، والعناءُ حنينُ
والبعدُ يُدمي، والبُكاءُ أنينُ
والذكرياتُ تمرُّ من بابِ المساء
نادت علينا فاشتعلنا
آهِ كم طاب النِّداء
يا أيُّها السِّدْرُ المُعَتَّقُ فوق نَجْدٍ
أيُّها العبضُ الشهيُّ على الضفاف
يا نخلةً ريحانةً
يا حُلوَ ما ترك الهُتاف
عمري فدا وطن المُنى..
عمري فداك
يا رائعاً أبغي عُلاكْ
وأظلُّ أرقى في هواكَ
وأصعَدُ الشَّوقَ البَهِيَّ إليكَ
أصعَدُ.. ليس يا وطني سواكْ
يغدو مُنى روحي، وليس سوايَ يوغل
في مداك
وأحِبُّ هذي البيدَ إذْ تمشي
على رحبِ الجهاتِ..
فلا حُدودَ لخطوها، أبداً ولا
كان الطريقُ لِمُنتهى
هو بعض ما ترك السَّرابْ
من أمنياتٍ:







فوق ذاكرة الطُّلولِ،
أوِ الشِّعاب
يا دارَ أحبابي هُنا في البالِ
أيّامُ مَنَيْنَ وذكريات
في البال تلك الأمسيات
أيّامَ كان النخل يجمعنا،
ونخلُ الديرة ائتلفَ الصَّحاب
أترى يَعودُ الأمْسُ،
يُرجعنا زمانُ الوَصْلِ،
يرجع من مضى عَنَّا وغاب
هذا نَسيمُ الصُّبحِ يأتي عاشقاً ولهاً
فتشتعلُ السَّتائرُ نشوةً،
والدار يضحك ثغرها
وعلى رفيف الضَّحكة السَّمراءِ
أنهضُ .. ألمح الدُّنيا أمامي رائعة
وكأنها شمسُ الخلود السَّاطعة
والصَّحبُ حولي..
والأحبةُ والبلادُ جميعُها
أحقيقةٌ هذا تُراهُ أم الأماني
أم رفيفُ الحلم يعبرُ في المقلْ
يا خُبْزَ أمّي..
أيها الأشهى على هذا الفؤاد من العَسَلْ
وحنانُها.. ويَدٌ تُلوِّحِ بالقبل
إني على العهد المقيمُ إلى الأزل
ما كان لي أن أشتهي هذا النَّوى
لكنها، الأيام تفعل ما تشاء
ونظل نحلم يا ثرى وطني
إذا همس النخيلُ على الوسائِدِ
باللقاء..







بقينا كما كنّا..

شعر الدكتور: عبدالله الصالح العثيمين

بقينـــا علـــى مـــرّ الليـــالي كمـــا كنّـــا
فلـــم نســـتفد منهـــا ولا غيّـــرت منّـــا
بقينـــا ولم نحفـــل بمـــا لاح مـــن رؤى
عـــوادٍ، ولم نفطـــن إلى خطـــر عنّـــا
نهـــيم بـــوادي التيـــه حـــيرى تلفّنـــا
ســـدول ظـــلال في ضـــمائرنا جنّـــا
ضـــمائر في ظـــل النفـــاق ترعرعـــت
فهامـــت بـــه شـــوقاً وتاقـــت لـــه فنّـــا
وعبّـــت حميّـــاه غرامـــاً ولهفـــة
فمـــا تركـــت كأســـاً ولا أغفلـــت دنّـــا
تملّكهـــا حتـــى اســـتحال ســـجيّة
ملازمـــة لم تنفصـــل لحظـــة عنّـــا
نكيـــل لمـــن غنّـــى المـــدائح شـــاقنا
ترنّمـــه أم ســـاءنا وقـــع مـــا غنّـــى

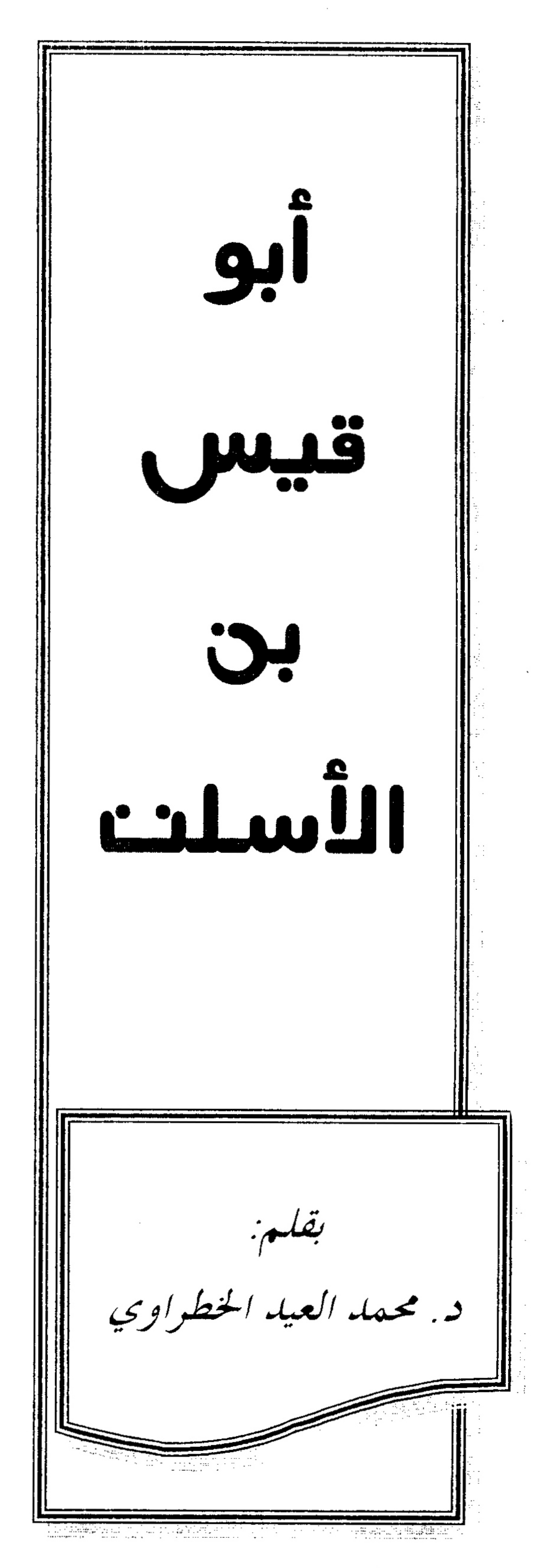






ونظهـــر تعظيمـــاً لكـــل مغــامر
جديــد وإن كنّــا نســيء بــه الظنّــا
نــردّد مــا تهــوى أســاطين حزبــه
كأنــا بمــا صــاغوا مــن القــول آمنّــا
فــإن مــدحوا قزمــاً مــدحنا، وإن دعــوا
علــى بطــل مــن خــيرة القــوم أمّنّــا
ونــزعم خــواراً مــن النــاس مــن سعى
علــى غــير مــا شــاء الــزعيم ومــا سنّا
وإن كــان لم يســرق مــن الشــعب حقــه
عفافــاً ولا خــان الــبلاد كمــا خنّــا
قبلنــا مـــن المبتــز حلـــو ادعائـــه
وفزنــا مــن الأقــوال بالروضــة الغنّــا
أتــى بــالمنى خضــراء حــين مجيئــه
وعــوداً، ولم يصــدق بمــا كــان قــد منّــى
وكــم مــدّع تحريــر شــعب وفعلــه
يــبرهن أن الشــعب أمســى لــه قنّــا
بقينــا صــراعاً بــين آلام حاضــر
ومــاض علــى أطيافــه نقــرع السّــنا
تمــرّ بنــا الأيــام دون توقــف
وتمضــي لياليهــا ونحــن كمــا كنّــا



أبو قيس بن الأسلت

بقلم:
د. محمد العيد الخطراوي

كانت يثرب (المدينة المنورة) في العصر الجاهلي تزخر بمجموعة ممتازة من الشعراء، بلغوا من حيث الكمّ ما لا يقل عن ستة وثلاثين شاعراً، وشأوا من حيث الكيف كثيراً من أقرانهم في البيئات الأخرى، بحيث تجاوزت شهرتهم البيئة اليثربية، كقيس بن الخطيم، وأحيحة بن الجلاح، وأبي قيس بن الأسلت، ووصلت أسماء بعضهم ملوك الحيرة والشام كحسان وابن رواحة، وكعب بن مالك، كما اعتمد علماء اللغة والمقعدون لها بعد ذلك في البصرة والكوفة وغيرهما على كثير من أشعار أولئك الشعراء في النحو والبلاغة والنقد والمعاجم اللغوية.

ولعل أبا قيس بن الأسلت من أهم الشعراء الجاهليين في يثرب.

وسنحصر حديثنا هنا عنه.

نسبه

هو صيفي بن عامر الملقب بالأسلت بن جُشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عُمارة بن مُرة بن الأوس بن حارثة بن عمرو (مزيقيا) بن عامر (ماء السماء). فهو يلتقي مع ابن الخطيم وأحيحة في الأب الثامن، وهو مالك بن الأوس.

أما عن سبب تلقيب أبيه بالأسلت فقد قال صاحب اللسان في مادة (سلت) (والأسلت: الأجدع، وبه سميَّ الرجل، وابو قيس بن الأسلت الشاعر.. وأصل السلت: القطع). فلعل في أنف أبيه بعض القطع، ويلاحظ أن اسمه

صيفي بن عامر، وشهرته أبو قيس بن الأسلت، فهو معروف بكنيته ولقب أبيه.

أسرته

هو من بني وائل، وإليهم ينسب، فيقال: أبو قيس بن الأسلت الوائلي وبنو وائل قوم من الأوس كانت منازلهم بجوار أبناء عمومتهم: بني أمية، الذين كانوا يسكنون عوالي المدينة، وبني عطية الذين كانوا يسكنون قبلة رحبة قباء الآن في صَفنة، التي سميت كذلك لارتفاعها عن السيول، فلم تشرب بشيء منها، فمنازلهم فيما يبدو واقعة بين هذين الفخذين من الأوس.

هذه هي أسرته الكبيرة، أما أسرته الصغيرة فإن المراجع لم تحدثنا عن أبيه ولا عن أمه، ولكن يبدو أن أمه أوسية، لأن هذا هو الوضع المعتاد بينهم، وما شذَّ عن ذلك عُرف وذكر بين الناس، كما أن والده فيما يظهر كان رجلاً مستور الحال إن لم يكن من الموسرين، لأنه لم يترك في نفوس أبنائه ما يدل على حب المال والحرص عليه، كما لاحظنا لدى أحيحة بن الجلاح، فأسرته على هذا النحو كانت من أوساط القوم، ولكننا نفهم من تلقيب والده بالأسلت أنه ربما كان من محاربيهم، وأن أنفه - على تفسير صاحب اللسان - أصيب في بعض حروبه بجدعة ظاهرة أنست الناس اسمه منذ ذلك اليوم، وقبلها هو وأبناؤه دون إبداء أي اعتراض، لكونها سمة بطولة ومدعاة فخر، ولعل هذا مما هيأ الشاعر لقيادة قومه في حروبهم بعد ذلك ورئاسته فيهم.

وذكر المؤرخون لصيفي ثلاثة إخوان هم: وحوَحْ - وكنيته أبو حصن - والحُصَين، والنعمان. أما الحُصين فهو الذي قامت بسببه الحرب الرابعة بين الأوس والخزرج، وذلك أن تنازع مع أحد بني مازن بن النجار، فقتله، فلما علم بنو مازن بذلك ترصدوا للحصين وقتلوه، فثارت ثائرة أخيه صيفي، وقاد حرباً ضروساً ضد قاتليه، واشتفى من الخزرج جميعاً، ثم دارت الدائرة عليه وانهزم بالأوس هزيمة شنعاء، وهنا كان لأخيه وحْوح موقف، كان نتيجة الفشل وقال له: لا تزال مهزوماً من الخزرج، وردَّ عليه أبو قيس (صيفي) شعراً فقال:

أبلغْ أبا حصنٍ، وبعضُ الـ ـقول عندي ذو كبارهْ
أن ابن أُمِّ المرء ليْـ ـس من الحديد ولا الحجارة

وعاش وحوح هذا حتى بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، ولم يُسلم، بل كان ممن حزّب الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة، مع زمرة من يهود بني النضير هم: حيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، وأبو رافع، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وإثنان من قومه من بني وائل، هما: أبو عمَّار، وهَوْذة بن قيس.

وأما أخوه النعمان فإن ابنه هارون، هو الذي قتل يزيد بن مرداس السُلمي - أخا

عباس بن مرداس الشاعر - ثأراً لابن عمه قيس بن أبي قيس، الذي كان يزيد قتله في بعض حروبهم.

وزوجة أبي قيس هي كبشة بنت ضَمرة بن مال بن عدي بن عمرو بن عوف، وهي أوسية أيضاً من بني عمرو بن عوف، وهي التي عناها في مطلع مذهبته حين قال:

قالت - ولم تقصد لقيل الخنا -

مهلا، فقد أبلغتَ أسماعي

أنكرْتِه حين توسَّمْته

والحرب غُولٌ ذات أوجاع

من يذق الحرب يجدْ طعمَها

مُرّاً، وتتركْهُ بجَعْجاع

وذلك أنه رجع إليها بعد حروب متوالية كان رئيسها، شاحباً متغير اللون، فلم تكد تعرفه حين دق عليها الباب وفتحت له، فدفعته وأنكرته، فقال: أنا أبو قيس، فقالت: والله ما عرفتك حتى تكلمت.

وذكر المؤرخون لشاعرنا أبنين هما: قيس الذي ذكرنا قبل قليل أنه قتله يزيد السُّلمي، وبه كانت كنيته، وله يقول والده:

أقيسُ إن هلكتُ وأنت حيٌّ

فلا تَعدَمْ مواصلة الفقير

ولكن ابن حجر يذكر قيس بن صيفي بن الأسلت ضمن أسماء الصحابة، ويورد كلام أبي الفرج السابق، بقوله: (ويحتمل أن يكون وقع هذا، "يعني الثأر" في الإسلام، ومع ذلك فموت قيس قبل أبيه يمنع ما اقتضاه هذا النقل أنه عاش بعد أبيه، فيتعين أن يكون له والد آخر) وكأن كلام ابن حجر يوحي بأن الجمع بين الروايتين أن هناك أبنا للشاعر يدعى قيساً قتل في الجاهلية، وولداً آخر سماه قيساً بعد وفاة الأول لمكانته عنده، وبخاصة أنه تكنّى به بين الناس، وهذا الأخير هو الذي أسلم وكان من الصحابة، وحاول الزواج من أمرأة أبيه، فنزلت الآية بإبطال ذلك، ولكننا نرجح أن يكون قيس قُتل فعلاً في الجاهلية، وأن المذكور في الصحابة من أبناء أبي قيس هو ولد ثالث فعلاً، ولكن اسمه حصن لا قيس، سماه بذلك بعد مقتل أخيه الحصين بن الأسلت، فقد قال ابن حجر نفسه في مكان آخر (حسن بن أبي قيس بن الأسلت الأنصاري)، ذكر الثعلبي في تفسيره أنه خلف على امرأة أبيه بعد موته، فنزلت الآية: ((ولا تنكحوا من نكح آباؤكم من النساء..)) .

والثاني هو عقية، وقد عاش إلى أن أكرمه الله بالإسلام، واستُشهد يوم القادسية.

عصره

قال ابو الفرج بعد أن أورد نسبه: (وهو شاعر من شعراء الجاهلية) وقال عنه الجاحظ، وهو رجل يمان من أهل يثرب، وليس بمكي ولا تهامي ولا قريشي، ولا حليف قريشي، وهو جاهلي) فهو إذن شاعر جاهلي صرف، يرجح أنه مات في السنة الأولى من

الهجرة، كما نص على ذلك ابن الأثير في كلامه عن حوادث السنة الأولى من الهجرة حين قال: (وفيها جاء أبو قيس بن الأسلت إلى رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام، فقال: ما أحسن ما تدعو إليه، سأنظر في أمري ثم أعود). فلقيه عبد الله بن أبي المنافق، فقال: (كرهت قتال الخزرج، فقال أبو قيس: لا أسلم إلى سنة، فمات في ذي القعدة) ومثله أيضاً ما أورده ابن سلاَّم: (وذكروا أنه أقبل يريد النبي ﷺ فقال له عبد الله بن أبيّ: خفتَ والله سيوفَ الخزرج.. قال: لا جرَم، والله لا أسلم حولا، فمات في الحول) ويحدد ابن عساكر وفاته بذي الحجة فيقول: (ثم انصرف إلى بيته، فلم يعد إلى رسول الله ﷺ حتى مات قبل الحول، وذلك في ذي الحجة، على رأس عشرة أشهر من الهجرة)، فهذه النصوص الثلاثة تحدد وفاته بالسنة الأولى من الهجرة النبوية، أي سنة ٦٢٢م، وتؤكد على جاهليته المستفادة من كلام أبي الفرج والجاحظ، أما ما ذكره ابن هشام في السيرة: (ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلاَّ وفيها رجال ونساء مسلمون، إلاَّ ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة، ووائل، وواقف، وتلك أوس الله، وهم من الأوس بن حارثة، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت، وهو صيفي، وكان شاعرا لهم، قائد يستمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر وأُحد والخندق)، وقول ابن حزم: (لو كان سيد قومه، فتأخر إسلامه إلى أن مضى يوم الخندق)، فإن الخلط قام لديهما - فيما يبدو - بينه وبين ابنه عقبة، فهو الذي أسلم وأكرمه الله بالشهادة في القادسية كما مرّ فهو وإن لم يحدد المؤرخون سنة إسلامه، فإنه لابد أن يكون سيدا مطاعا في قومه، بحكم أنه ابن سيدهم وقائدهم، يرث من طباع أبيه، ويستمد من مكانته فيهم. أما توقف أوس الله عن الإسلام قبل الهجرة وعدم مسارعتهم إلى الدخول فيه كما فعلت البطون الأخرى، فلا غرابة أن يكون من أبي قيس، وهو الذي رغب بنفسه عن الإسلام حتى بعد الهجرة لمجرد إشارة واجهه بها ابن أبيّ، ولا غرابة بعد هذا أن يتأخر إسلام ابنه عقبة إلى ما بعد الخندق، فالولد في الغالب صنو أبيه.

هذا وقد نبّه الدكتور حسن باجودة إلى خلط كتّاب التاريخ والتراجم بين أبي قيس بن الأسلت وشاعر مدنّي آخر معاصر له، يشترك معه في الكنية، من بني النجار الخزرجيين، وهو أبو قيس صِرْمة بن أبي أنس، فقال أنت تجد المعلومات الإسلامية التي تعطى عن ابن أبي أنس من أنه حينما جاء الإسلام اعتنقه، وكان واحد من الذين دخل الإيمان في قلوبهم.. إلى آخر ذلك، هي نفسها التي تعطى عن ابن الأسلت، بحيث تكاد تتحول شخصية ابن الأسلت مطابقة لابن أبي أنس، والشيء الذي لا مراء فيه، هو أن هذه المعلومات الإسلامية تعتبر امتدادا طبيعيا وتطورا للمعلومات التي تعطى عن ابن أبي أنس في الجاهلية، من أنه

قبل الإسلام، وقبل قدوم النبي ﷺ المدينة، كان يتألّه ويدَّعي الحنيفة، ويلاحظ أن هذه المعلومات نفسها ينال ابن الأسلت شيء كبير منها، وهي تسير جنبا إلى جنب مع المعلومات الصحيحة عنه، وكل ذلك يجعلنا ننتهي إلى نتيجة حتمية، هي: أن لبساً قد حدث في أذهان العلماء بسبب المعاصرة واتفاق الكنية بين أبي قيس: صيفي بن الأسلت، وأبي قيس ضرمة بن أبي أَنس). وممن وقع في هذا الخلط ابن حجر في الإصابة، وابن عساكر في التاريخ الكبير.

وإذا كنا نحسب أننا بما تقدم استطعنا التغلب على صعوبة تحديد سنة وفاته، فإن الصعوبة التي ليس لها حل سوى التخمين تكمن فيما يتصل بتحديد سنة ولادته، والعمر الذي مات عليه.

في كتابتنا عن الشاعر المدني أُحيحة بن الجُلاح رجحنا في تحديد سنّه من خلال بيت له قاله في مُذْهبته أنه خاض حرب (كعب بن عمرو) وهو كبير السنّ، ونضيف هنا أننا نخمِّن أن يكون سنّه إذّاك لا يزيد على الستين، فهي سنٌّ يمكن معها الجلد على القتال، فقد كان الرسول ﷺ وكثير من صحابته يخرجون إلى القتال وهم في مثل هذه السنّ، أما بعد ذلك فإن الحرب تصبح ضربا من التعرض للهلاك المحقق، وبخاصة في حروب تلك الأزمان، التي تعتمد على الضرب والطعن، والكر والفر، ومعنى هذا أن حرب (كعب بن عمرو) وقعت حوالي ٥٢٥م، ولا بد أن تكون أعقبتها بعد ذلك فترة سلام طويلة، ولابد أن تكون أعقبتها بعد ذلك فترة سلام طويلة، لأننا إذا رجحنا مع البكري أن يوم السرارة من أيامهم لم يكن يوما مستقلا، وإنما كان ضمن أيام (حرب حاطب)، فإن الحرب الثالثة بينهم تكون هي (حرب الحصين بن الأسلت)، والحصين هو أخ لأبي قيس، قتله جماعة من الخزرج، فقامت بسببه حرب بين الحين، قادها أبو قيس، ونحن نفترض أن سنّه إذاك لا تقل عن الثلاثين، فإذا عرفنا بعد ذلك أن القيادة عُرضت عليه يوم بُعاث (٦١٧م)، واعتذر عنها ربما لكبر سنّه، قدَّرنا أن يكون من مواليد سنة ٥٧٢م، ويكون عمره يوم حاطب الذي تولى فيه القيادة أيضاً حوالي إثنين وستين سنة، فهو على هذا سابق لجيل حسان المولود سنة ٥٦٣م، وابن الخطيم وابن رواحة، فقد عاش في آخر أيام أحيحة رئيس قومه السابق الذي قلنا إنه توفي سنة ٥٦١م، وقد يكون رآه واستمع إلى شعره.

والذي أحب أن أضيفه هو أن هذه الفترة في الواقع من تاريخ يثرب، محاطة بكثير من الغموض، لأنها في الغالب غير مطروقة للكتّاب، كما أن الذين كتبوا عنها اهتموا بالأحداث وسرد الأخبار، دونما إحالة على مرجع دقيق، ودون أي اهتمام بالتحديدات يبقى قابلا للمناقشة والتعديل ، لأنه قائم على الاجتهاد والترجيح بناء على بعض المعلومات التي وصلتنا عنهم، ولكن ذلك في اعتقادي لا يغض من شأنه ولا يحط من قيمته، ما دام يساعدنا على تصور أفضل لحياة هؤلاء الذين نكتب عنهم، ويُسهم في إجلاء غوامض تلك الفترة، وتوضيح بعض جوانبها المعتمة.

شاعريته

كان الدكتور باجودة - فيما أعلم - أول من قام بدراسة جادة لشعر هذا ضمن اهتماماته بشعراء المدينة، وقد أسفرت جهوده المباركة عن جمع شعر ابن الأسلت في ديوان صغير، طبعته دار التراث بمصر عام ١٣٧٣هـ ثم كرر طبعه نادي الطائف الأدبي قريبا، ولم يقتصر عمله على مجرد الجمع، بل قام بتحقيق الشعر المنسوب له، والبحث عن مدى صحة تلك النسبة، وأحب أن أسجل هنا أنني استفدت في كتابة هذه الترجمة مما كتبه، واشتركت معه في كثير من الآراء، وليس من غرابة أن يجتمع الناس على حق، وقد خلص باجودة في تحقيقه إلى أن ما ثبت عنده من شعر ابن الأسلت لا يتجاوز ثمانية وستين بيتا، من بين مائة وتسعة وأربعين بيتا، كلها منسوبة إليه.

ونحن الآن لسنا بصدد الدخول مع الدكتور الفاضل في مناقشة الأسس التي أقام عليها أحكامه في النفي والإثبات، فذلك ما لا يتسع له صدر دراسة كهذه تهتم بالعموميات أكثر مما تهتم بالتفاصيل والجزئيات، فإن وقع شيء من ذلك فبالقدر اليسير الذي يؤكد حقيقة أو يثبت مزية.

ولا شك أن أكثر شعر ابن الأسلت ضاع فيما من تراث، نعم قد يكون ابن الأسلت من المقلين، ولكن مثله لا ينتظر منه هذا الإقلال، فهو رجل محتك بالحياة اليثربية أشد الاحتكاك، يعيش أحاسيسها ويحيا نبضات قلبها في الأسى والفرح والجدب والرخاء، يقود قومه في المعارك، ويكون لسانهم في الأزمات، وأنَّى لبطل صنديد يملك الشاعرية الدافقة أن يؤثر الصمت، فلا يتغنى بالبطولة ولا يشيد بالمواقف والمعارك كما فعل حسان وابن الخطيم..؟ وفي شعره الصحيح النسبة مقطوعات بينة الاقتطاع، تدل أبياتها الباقية على أن لها لواحق وسوابق، وذلك كقوله:

ثم ارعويتُ وقد طال الوقوف بنا
فيها، فصرتُ إلى وجناءَ شملال

فهذا البيت مطلع مقطوعة من أربعة أبيات، ووجود حرف العطف (ثمّ) في مطلعه دليل على أن الكلام معطوف على كلام سابق، فكأنما الأبيات جزء من مطلع قصيدة ذهب سائرها وبداية المطلع، ولم يبق منها غير هذا الجزء من مقدمتها الطللية.

وقد كان ابن الأسلت ابن عصره، ومدح وفخر وهجا، وكان ابن بيئته اليثربية، متأثرا بوديانها ونخيلها وحرارها، واصفا بعض ما كان فيها من معارك وحروب، مشتركا في فن النقائض الذي هو سمة من سماتها المميزة في العصر الجاهلي.

يقول أبو قيس في ظل حرب بعاث وقومه الأوس في نشوة الانتصار الساحق على الخزرج، قبل الهجرة النبوية بخمس سنوات:

ألا من مبلغٌ حسان عني
أطبّ كان داؤك أم جنون

ومن المؤسف أنه لم يبق من هذه القصيدة غير هذا المطلع، وقوله:

وأحرزنا المغانم واستبحنا
حمى الأعداء، (والله) المعين
بغير خلابة، وبغير مكر
مجاهرةً، ولم يخبأْ كمين

وقوله:

على أن قد فُجعتُ بذي حفاظ
فعاودني له حزن رصين
فإمَّا تقتلوه فإن عَمْرا
أعضَّ برأسه عضبُ سنين

وهنالك بيت آخر يجوز أن يكون من أبيات هذه القصيدة، فهو مشترك معها في القافية والوزن، وإذا ابتعد مضمونه ظاهريا عما تقدم في الأبيات السابقة فلعل في الأجزاء المحذوفة من القصيدة ما يوطئ له ويسلكه في عدادها. يقول:

غراس كالفتائن مُعْرَضاتُ
على آبارها أبدا عُطون

فيرد حسان بن ثابت يهجو أبا قيس (ديوان حسان٢٥٥)، وينقض قصيدته ويذكره بأيام كانت لقومه الخزرج على الأوس، فيقول:

ألا أبلغْ أبا قيس رسولا
إذا ألقى لها سمعا تُبين
نسيت الجسر يوم أبي عقيل
وعندك من وقائعنا يقين
فلستُ لحاصين إن لم تزركم
خلال الدور مشعلةُ طحون
يدين لها العزيز إذا رآها
ويهرب من مخافتها القطين

من قصيدة ذات تسعة عشر بيتا.

ومارس ابن الأسلت الشعر الغزلي، فكان فيه رقيق العاطفة دقيق الوصف، مشرق الصورة جميل الألوان، وقد ذكر أبو الفرج أن بعضهم كان يفضله في قوله:

ويكرمها جاراتها فيزرْنها
وتعتلُّ عن إتيانهن فتُعذَرُ
وليس لها أن تستهين بجارةٍ
ولكنها منهن تحيا وتَخْفَرُ

عن غيره من الشعراء في هذا الباب، كالأعشى وحاتم وذي الرمة.

وكانت لابن الأسلت علاقة شخصية حميمة مع أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية، من رجالات قريش ووجهائها، ولذلك نجده يمدحه بقصيدة منها:

وكان أبو أحيحة قد علمتمْ
بمكة غير مهتضمٍ ذميم
إذا شدَّ العصابة ذات يوم
وقام إلى المجالس والخصوم

فقد حرمت على من كان يمشي

بمكة غير مُدّخلٍ سقيم

ومن غريب المصادفات أن يجمع القدر بين ابن الأسلت وأبي أحيحة في الممات كما جمع بين قلبيهما في الحياة، فقد ماتا في عام واحد تقريبا.

وشعر ابن الأسلت يمثل في خصائصه كثيرا من الخصائص الفنية العامة للشعر اليثربي، التي يتجلى في مقدمتها البساطة والدقة في تخير الألفاظ، كقوله:

ليس قطا مثل قُطيّ ولا الـ

ـمرْعيِّ في الأقوام كالراعي

فهو تعبير بسيط منتزع من البيئة، فالقطاه – وهو يعني بها نفسه – أعظم شأنا وأهدى سبيلا من القُطيّ، وهو يعني بها غيره ممن هم أقل شأنا، وهذا التعبير بما فيه من بساطة نفاذة جرى مجرى المثل، في التعبير عن خطأ القياس، قال الميداني:(وقال الأصمعي: يضرب في خطأ القياس)، ويقول باجودة حول هذا البيت: (وهو بيت يدل على بساطة قائله، فنحن إزاء اتجاهين مختلفين في التعبير، فهو قد بدأ بالقطا الأكبر حجما، وتنى بالأصغر، بينما حدث العكس في المرعيّ والراعي، هذا التغير مسئول عنه القافية). وكأن باجودة يدافع عن الشاعر من أجل ضرورة حملته عليها القافية، ونحن لا ننكر أن للقافية سلطانه على الشعر، ولكننا نرى أن هذه السلطة تكاد تزول أمام بعض الشعراء، ونزعم أن هذه المغايرة في التعبير تعمدها ابن الأسلت أيضا وقصد إليها، ليسهم بذلك في تقرير المعنى الذي يريده في الأذهان، لما فيها من قدرة على تنبيه السامع وإحداث الموازنة بين القطا والقطيّ، والمرعيّ والراعي، فيتجسد بذلك المعنى في نفس المتلقي، وهذا ما لا يكون لو صحت المشاكلة اللفظية، ولعله شبيه بقوله تعالى: ((وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور))، فإن ارتياح النفس يكون للإبصار والظل، والنفور يكون من العمى والحرارة، ولكن هذا الترتيب قد يفوّت معنى قصد إليه القرآن.

وتظهر الدقة أيضاً في اختياره كلمة (أسماعي) في قوله:

قالت – ولم تقصد لقيل الخنا–

مهلا، فقد أبلغت أسماعي

يقول باجودة: (فالمعروف أن للمرء سمعا واحدا، والشاعر كي يفهمنا انزعاج زوجته من كل طرقة وصلت إلى سمعها، يأتي بصيغة الجمع دليلا على أن الإيذاء كان بعدد الطَّرقات، وكأن لكل طرقة سمعا يؤذي).

ويستخدم ابن الأسلت المحسنات البديعية من جناس والتفات ورد العجز على

الصدر، بحذق ظاهر يدل على حاسة فنية راقية، كقوله:

يحمي ذماركمُ وبعـ
ـضُ القوم لا يحمي ذماره

حيث رد فيه العجز على الصدر:

كما يظهر الضحى، صفر الحشا، منتهى المنَى
قَطوفُ الخطى، تمشي الهوينى فتَبْهرُ

ونكاد نجزم من ناحية أخرى بولع ابن الأسلت بصيغ المبالغة، فهو كثير الاستعمال لها في شعره، ومن ذلك: (رقود الضحى، أمون غير مظلاع، مهنَّد كالملح، قطاع، خدّاع، ومجنأ أسمر قرّاع، جلْد غير مجزاع، هلوع، شملال، عَمّال)، فابن الأسلت برغم قلة ما وصلنا من شعره، هو شاعر قدير له أدواته الفنية التي يحسن استعمالها والتصرف فيها والإبداع من خلالها وإقناعك بشاعريته، فإذا كان هذا مستوى قليلة، فكيف نحن بكثيرة الذي ضاع؟ وقد قال عنه ابن عساكر: (وكان يعْدَل بقيس بن الخطيم في الشعر والشجاعة)

ملامح شخصيته

أول ما يبدهك من هذا الشاعر شعوره الكامل بمسئوليته تجاه عشيرته وتولِّيه شؤونهم، لا يفرق في ذلك بين كبير وصغير وقريب وأقرب:

أسعى على كل بني مالك
كل امرىء في شأنه ساع

وقد اختاره قومه لقيادتهم في الحروب لما آنسوه فيه من جلد وقوة ورجاحة في الرأي، فقادهم في حرب الحصين بن الأسلت للثأر من قاتلي أخيه الذي حملت هذه الحرب اسمه، كما قادهم يوم الربيع، وفي حرب حاطب بأيامها الطوال، ولكونه لم يكن شخصا عاديا في الحروب كحسان، ولم يقتصر أمره فيها على البطولة وحسن البلاء كابن الخطيم، بل كان يحتل مكان القيادة والمسؤولية فيها، نراه يفضل في أغلب الأحيان في شعره استعمال ضمير المتكلم بدلا من ضمير المُتكلمين، وذلك كما في البيت السابق وما بعده:

أعددتُ للأعداء موضونةً
فضفاضةً كالنِّهْي بالقاع
أحفزها عني بذي رونقٍ
مهنَّدٍ كالملح قَطَّاع

وهو رجل صريح صادق مع نفسه، يلقي كلامه إليك مباشر، ولا يعمد إلى المبالغة كما كان يفعلُ حسان في بعض أشعاره، بل يعترف في شعره رغم بطولته وشجاعته

بالهزيمة إن وقعت له فالحرب في عرفه سجال، ولا يمكن أن تسلب الهزيمةُ الإنسان فضائله وتذهب بمواقفه الأخرى، فإن أفاضل الناس وشجعانهم قد ينهزمون تحت تأثير أي ظروف، ولكنهم لن يفقدوا بذلك فضلهم ونبلهم وأصالة نفوسهم، وأمامهم من أعمال المجد والبناء مجالات ومجالات، ولذلك نرى ابن الأسلت حين يعتذر عن هزيمته في الجولة الأخيرة في حرب الحصين بن الأسلت لمّا لامه أخوه (وحْوَح) على ذلك يقول:

أبلغ أبا حصن وبعْـ
ـضُ القول عندي ذو كباره
أن ابن أم المرء ليـ
ـس من الحديد ولا الحجاره
ماذا عليكم أن يكو
ن، لكم بها رَحْلاً عماره
يحمي ذماركمُ وبعـ
ـضُ القوم لا يحمي ذماره
يبني لكم خيراً وبنْـ
ـيان الكريم له أثاره

وهو لسلامة تفكيره وتعقله وغلبة الحكمة عليه يضجر من الحرب ويعرف عواقبها فلا يتهور فيها ولا يدعو إليها، ولا يدخلها إلا مجبرا مدفوعا إليها بحكم الأحداث، ولعل في هذا يكمن سرّ بعض ما وقع له من هزائم، فهو لا يوغل في قتل أعدائه، ولا يميل إلى المبالغة في سفك الدماء، بل قد يكتفي بالتأديب وأخذ الثأر والإشعار بالغلبة والقوة، وهو سلوك بالطبع لا يروق لبعض المحاربين الذين قد يؤثرون سحق الأعداء، حتى لا يبقوا فيها ديَّارا.. خرج حضير الكتائب قائد الأوس يوم بُعاث وأبو عمرو الراهب إلى أبي قيس بن الأسلت، وهما في غمرة الانتصار على الخزرج، ونار الحقد تتوقد في عيونهما، فقال له حضير: يا أبا قيس... إن رأيت أن نأتي الخزرج قصرا قصرا، ودار دارا، نقتل ونهدم، حتى لا نبقي منهم أحدا.. فقال أبو قيس انطلاقا من حلمه وكمال عقله: والله لا نفعل ذلك. فهو يكف عند المقدرة ولا تطغى عليه روح الانتقام، وهذا ما فعله مرة أخرى حين أُسر مخلِّد بن الصامت ثم أطلق سراحه وعفا عنه، وضمّن ذلك شعره في معرض الفخر بنفسه فقال:

أسرتُ مخلَّدا فعفوت عنه
وعند الله صالح ما أتيتُ

وفي الواقع إن تصرف ابن الأسلت هو التصرف النبيل وإن خالف طبيعة الجاهليين وجافى نفسياتهم، إذ يكفي المقتدر الكبير النفس أن يصل إلى إقناع خصمه بالتفوق والقدرة عليه، فإذا حقق ذلك عفا عفو القادرين، وهذا ما كان يفعله ابن الأسلت، وكان مع ذلك رجلا حازما يكره الحمق والاسترخاء في الرأي، ويمقت المداهنة

والمصانعة، ويؤثر المصالحة والاستقامة المصحوبة بالقوة والاستعداد للتضحية في كل حين:

الحزمُ والقوةُ خير من الـ
إدّهان والفكَّة والهاع

وكان ابن الأسلت ذا قلب رقيق يهتز للوجه الناعم والحشا المضيم والخطو الهيِّن المنغَّم، والصوت الرخيم، والمنطق العذب واللسان الكريم، فيتغزل ويغني بالجمال:

رَقودُ الضحى، صفر الحشا، منتهى المنَى
قَطوفُ الخُطى، تمشي الهوينى فتبهرُ
خفيضةُ أعلى الصوت ليست بِسَلْفع
ولا نَمّةٍ خرَّاجةُ حين تظهر

وهو رجل متواضع يعاشر قومه بالحسنى، ولا يتعالى عليهم لرئاسته فيهم، يبذل لهم من عطائه، ويقبل دعوة من دعاه منهم، ويحضر ولائمهم، ويزورهم في أفراحهم وأتراحهم:

هل أبذل المال- على حبِّه-
فيهم وآتي دعوة الداعي

وقد يذكرنا قوله: (على حبه) بقول تعالى: ((ويطعمون الطعام على حبه مسكينا يتيما وأسيرا))، وبقوله تعالى أيضاً: ((وآتى المال على حبه))، ويشعرنا بما أراده من المبالغة في الفخر بتمام كرمه، وقد يكون أراد إذا دعي إلى حرب أو حمالة أو غير ذلك من دواعي الشرف لم يتخلف عنه.

ولكن ما قاله عن كرمه لم يكن كذباً أو حديثاً مصطنعاً، بل كان ابن الأسلت في واقعه رجلاً كريماً معطاء، يرعى الفقراء، ويمد يد المساعدة إليهم، ولهذا نراه يحث ولده قيساً بمواصلتهم فيقول:

أقيسٌ إن هلكتُ وأنتَ حيٌّ
فلا تعدَمْ مواصلة الفقيرِ

ويقول:

بُنَيَّ متى هلكت وأنت حيٌّ
فلا تحرمْ فواضلك العديما

وهو في الوقت نفسه يعرف قيمة المال، ولا يصل بكرمه إلى الإسراف والتبذير، ولذلك صرَّح بحبه كما مرَّ، وكقوله يوصي ولده:

ومالك فاصطنعه، وأصلحنه
تجدْ فيه الفواضلَ والنعيما

هذه الصفات التي ذكرناها لابن الأسلت وغيرها من الصفات الكريمة العالية جعلته يحتل مكان الصدارة في قومه وينال الرئاسة فيهم، يستشيرونه في مهماتهم، ويصدرون عن رأيه، وهذا ما حدا بجورجي

زيدان أن يسلكه في الشعراء الأمراء الذين عدَّ منهم بالإضافة إلى ابن الأسلت: أمرأ القيس، وعمرو بن كلثوم، والأفوه الأودي المذحجي والمهلهل بن ربيعة التغلبي وعبد يغوث من بني الحارث بن كعب وزهير بن جناب الكلبي القضاعي وعامر بن الطفيل الغنوي العامري ابن عم لبيد الشاعر، وأغلبهم معاصر لابن الأسلت، ولعله اعتمد في وصفه بالإمارة على قول ابن الخطيم:

ولما نزلنا الحرث قال أميرنا:

حرامٌ علينا الخمر ما لم نحارب

فإن ابن الخطيم كان يقصد فعلاً ابن الأسلت، ولكنه كان يقصد الإمارة الحربية، ولعل ما يؤكد مكانة ابن الأسلت في قومه ذكره في أشعارهم ومفاخرتهم به كما فعل ابن الخطيم هنا، وكما فعل الشاعر الأوسي الآخر سويد بن الصامت الملقب بالكامل، في مناقضته للشاعر الخزرجي صخر بن سليمان البياض، الذي ذكر ابن الأسلت أيضاً، يقول سويد:

ألا أبلغا عني صخيرا رسالةً

فقد ذقتَ حرب الأوس فيه ابن الأسلتِ

قتلنا سراياكم بقتلى سراتنا

وليس الذي ينجو إليكم بمفلت

بقي أن نقول إن من أهم أشعاره عينيته التي عدت في المذهبات، وقد قالها في حرب حاطب بن هيشة المُعاوي، تلك الحرب التي وقعت بين قومه الأوس وبين أعدائهم الخزرج، والتي منها:

قالت – ولم تقصد لقيل الخنا –

مهلا، فقد أبلغتَ أسماعي

أنكرته حين توسَّمته

والحرب غولٌ ذات أوجاع

من يذق الحرب يجدْ طعمها

مُرّاً، وتحبسْه بجعجاع

قد حصّت البيضة رأسي، فما

أَطعمُ غَمْضاً غير تهجاع

أسعى عل جلّ بني مالك

كل امريء في شأنه ساع

أعددت للأعداء موضونةً

فضفاضةً كالنَّهي بالقاع

وبعد: فقد نكون في الصفحات الماضية استطعنا أن نقدم للقارئ الكريم صورة واضحة لشاعر بارز من شعراء المدينة المنورة في العصر الجاهلي، متميز في مكانته الاجتماعية والسياسية والحربية والشعرية بين قومه، وكل البيئات المجاورة، فوكدُنا وغايتنا القصوى إثبات مكانة المدينة الشعرية بين البيئات الشاعرة.




مدي شراعك..

شعر الدكتور: إبراهيم العواجي

مدي شراعك هذا البحر صار لنا   أمواجه دفق قلب فارق الحزنا
كانت شواطئه جرداء قاسية   تستقبل البوم والغربان والشجنا
كف الرياح على أمواجه لهب   خواؤها مد في أعماقه كفنا
ويوم مزق صوت الحب هجمته   وثار يرسم فوق الموج وهج سنا
عادت إليه طيور العشق تمنحه   عهداً جديداً بأن يبقى الزمان هنا
لا ترهبيه فهذا البحر نملكه   أمواجه ولآلي البحر من دمنا
نعدو على شاطئ الأحلام نرسمها   وشما نهاراته في عرفنا زمنا
ونستشير هدير الموج في سبق   حتى يسايرنا في دفق نشوتنا
مدي شراعك في دنياي دون أسى   فالبحر حبك والأيام صرن لنا
هذي يدي، لامسي الأوراد راعشة   تحنو وتعلن ميلاد الحياة هنا
دمي جداول عشق أنت منبعها   تنساب حالمة والحب ثالثنا
عطشى برغم نهور الحب في دمنا   وما ارتوى العشق، ما ابتلت منابعنا
وقد وهبت لعينيك الهوى ثمنا   ما أرخص العمر إن كان الهوى ثمنا
مدي شراعك يا نجلاء في حلمي   فمن حجاه رموش الحب قد أمنا







تائه.. بين شطين..

شعر: سعد البواردي

علـــى أهْـــداب عينـــك.. يـــا حبـــيبي
تعلّـــق.. مـــا تبقـــى مـــن نصـــيبي
أصـــارعُ موجـــة.. فتهـــبُّ أخـــرى
ويســـلمني "الهبـــوبُ" علـــى "الهبـــوب"
بـــأيّ الشـــاطئين هـــواي يرســـو؟
أفي شـــطر "الشـــمال" أم "الجنـــوب"؟
أأغمـــض مقلـــتي "حـــيرى" و"حـــرى"؟!
أأفتحهـــا علـــى "ريٍّ" و"طيـــب"؟!
أأبْحـــر؟! إن عينـــك لـــي محـــيط..
أأبحـــر؟! أم ســـيخذلني..؟ "أجـــيبي؟"






أنا سأنتحر.. سأقتل نفسي.. وإليكم السبب..

أنا شاب في الثامنة عشرة من عمري.. في الثانوية العامة.. قوي البنية.. مفتول العضلات من أسرة غنية.. أدرس في أرقى المدارس الخاصة وأغلاها..

لديّ سيّارة جميلة آخر موديل.. ومن أغلى نوع.. وأذهب كل يوم إلى النادي ألعب الكرة وأركب النخيل.. أي أن حياتي كاملة.. لا شيء ينقصها.. بل قد تفوق حد الكمال..

كل شاب في الدنيا يتمنى أن يعيش حياتي كما أعيشها أنا وأحياها.. ولكن لا.. لم تعرفوا السبب بعد..

أنا ضعيف الشخصية.. وإلى أبعد حد.. ضعيف لدرجة أنني لا أستطيع أن آخذ حقي..

الجميع يستهزئون بي لضعف شخصيتي ولا أستطيع أن أضع حداً لاستهزائهم وسخريتهم.. لأنني ضعيف ضعيف جداً.. وأكثر مما يتصور البعض.. وسبب ضعفي هي أمي.. نعم هي السبب الأول والأخير رغم حبي لها..

منذ كنت في الثالثة من عمري وهي تبكي أمامي.. ودائماً تبكي.. ودائماً تشكو أبي.. ودائماً تحكي لي قصتها.. حتى أصبحت في العاشرة من عمري وأنا أحفظ قصتها عن ظهر قلب..

زوّجها أهلها وهي في الخامسة عشرة من عمرها إلى أبي وهو رجل كبير في السن.. في سن أبيها.. ولديه من النساء ثلاث غيرها.. وكانت تتعذب.. تتعذب بقسوته.. وتتعذب بغيرته.. وتتعذب بغيرتها.. ولم تنجب غيري..

كنت أنا آخر العنقود من أولاد أبي.. وكنت أنا المدلل رغم كثرة أولاد أبي.. فهم كثيرون جداً لا أدري عددهم.. ربما هم خمسة عشر أو

أكثر.. لا أدري.. وكلهم متزوجون.. بعضهم آباء.. والبعض الآخر أجداد.. نعم.. أجداد.. ولهم أحفاد في مثل عمري.. وهم لا يعرفونني.. وأنا لا أراهم إلاّ لماماً ولكنني لا أشعر حتى بوجودهم..

حتى مرض أبي.. مرض مرضاً أقعده الفراش.. وتنقل بين بيوت زوجاته الثلاث ثم استقر في بيت أمي.. اختار بيتنا ليرقد فيه.. فأحسست بالاختناق..

لم أتعوّد أن أرى أبي في كل وقت.. كنت أراه بعض الوقت.. أحياناً بالليل.. وأحياناً أخرى بالنهار.. ولكنني الآن أصبحت أراه بالليل والنهار.. أشعر بأنه يجثم على صدري.. يضيق على الخناق.. يعد على خطواتي.. يحسب على أنفاسي..

كان هذا طبيعياً بالنسبة لي.. ولكن أمي.. أمي يحدث لها ما حدث لي!! غير معقول!! بل مستحيل.. إنه زوجها.. إنها تحبه.. لا.. إنني لا أجزم بهذا.. فلم أحاول مرة في حياتي أن أفكر في طبيعة العلاقة بين أبي وأمي.. كنت أعتقد إنها كأي علاقة بين أي زوج وزوجته رغم تعدد زوجات أبي.. كنت أعتقد أنها تحبه كأي زوجة تحب زوجها رغم بكائها الدائم أمامي.. كنت أعتقد بأنها ستطير من شدة الفرح لاختياره لها بالذات دون نسائه الأخريات ليقضي عندها فترة مرضه ونقاهته.. ولكن لا..

إنها تعيسة مثلي وأكثر.. إنها تغضب لأتفه سبب.. تبكي لأية هفوة.. لا... إنها لم تكن هكذا.. صحيح إنها كانت دائمة البكاء ولكن ليس إلى هذه الدرجة المأسوية..

في هذه الفترة كنت أراها دائماً غاضبة.. دائماً حزينة.. ودائماً تبكي.. أكثر من الأول.. أحوالها تغيّرت بدرجة غير معقولة.. لدرجة إنها أصبحت لا تحكي لي قصة حياتها كل يوم كالعادة..

ومضيت أفكر.. نعم أفكّر.. أنا الشاب المدلل الذي لا يهتم حتى لدروسه أفكر.. حالة أمي حيّرتني.. إنني أعرفها جيداً لذلك لفت نظري تغيرها الشديد وحزنها الأشد.. وعزمت على أن أعرف السبب مهما يكن من أمر.. إنني لم أسألها قط عن مدى علاقتها بأبي.. هل هي تحبه أم تكرهه؟

هل تعيش معه راضية سعيدة أم هي مكرهة على العيش معه؟

وفي يوم ما فوجئت بنفسي أسألها هذا السؤال وعيناي معلقتان تماماً بوجهها لأرى رد الفعل لديها.. دهشت.. تفرّجت وجنتاها احمراراً وهي تنظر إلي باضطراب.. إنها تبدو كفتاة بريئة تواجه بهذا السؤال لأول مرة في حياتها.. لا كزوجة وأم لشاب وربة بيت.. نظرت إليها مرة أخرى وإذ هي مطرقة برأسها تنظر إلى لا شيء.. أعدت عليها السؤال مرة أخرى.. ولكن..

وكأنها تحولت إلى إنسانة أخرى.. متوحشة.. ضربتني وطردتني من الحجرة دون أن تجيب على سؤالي.. ومضيت أفكر وأنا اسمع صوت بكائها ونحيبها.. لماذا لا ترد على سؤالي.. ترى هل أبدو بالنسبة لها طفلاً لا أفهم شيئاً مما يدور حولي؟ ولكن لا.. سأثبت لها رجولتي.. سأثبت لها أنني أفهم كل شيء وأكثر مما كانت تعتقد..

ولكن لأول مرة في حياتي بدأت أرى ما حولي على الوجه الصحيح.. لأنني أول مرة أدقق فيما أراه ولا تخدعني المظاهر الكاذبة.. أرقبها هي وأبي وهما يتناولان طعام الغذاء..

إنه يأكل بطريقة سيئة.. وهي تنظر إليه باشمئزاز واحتقار.. لا حديث يدور بينهما.. ولا حتى كلمة واحدة..

يتجشأ أبي بعد الأكل بطريقة مقزّزة.. أراها وهي تقاوم الغثيان الذي أصابها.. يقوم إلى الحجرة لينام.. إنه يمشي ببطء وظهره محني إلى الأمام.. إنه كبير في السن.. كبير جداً.. وهي صغيرة إلى جواره وكأنها ابنته.. طويلة.. ممشوقة القوام.. جميلة.. لأول مرة أعرف أن أمي جميلة.. طوال عمري أنظر إلى وجهها ولكنني لم أر جمالها إلاّ اليوم.. ربما لأنني أردت أن أتفحّص كل شيء بعيني الخبير..

وأحد فيهما النظر عند بعد.. إنهما لا يناسبان أبداً بعضهما.. أذهلتني هذه الحقيقة رغم أنني كنت أعيش فيها منذ زمن طويل.. ولكنني لم أفهمها إلاّ الآن..

صدمت بها وكأنني أعرفُها لأول مرة.. صدمتني جعلتني أفيق لأشياء أخرى كثيرة تدور حولي، إن أمي تتحدث كثيراً في الهاتف بصوت هامس.. ويطول حديثها كثيراً.. وهنا بدأت أشك.. وبدأ أرقبها.. وأكثف عليها المراقبة أكثر وأكثر ويدي على قلبي.. أبحث عن شيء لا أريد أن أعرفه..

أبحث عن المجهول الذي يخيفني.. أبحث عن المارد الذي يسكن أعماي ويزلزلني..

رأيتها تخرج كثيراً ولم أتبعها في كل مرة.. كنت أخاف أن أكتشف شيئاً لا أريد أن أكتشفه كنت أخاف أن أرى شيئاً لا أريد أن أراه.. تصورت كل شيء بعين خيالي.. شابة جميلة.. وحيدة..

حزينة.. و.. وهناك آخر.. لا بد أن هناك آخر.. والنهاية معروفة بالطبع.

بالتأكيد هذا ما يحدث.. ولكنني جبان.. ضعيف.. اضعف من أن أراقبها حتى النهاية وأضعف من النهاية نفسها.. لذلك لجأت إلى أبي..

حاولت أن أفهمه ما يدور حوله بطريقة غير مباشرة..

دخلت عليه حجرته.. فوجئ بي.. فنظر إليّ متسائلاً دون أن يتكلم..

إنه يعتقد أنني أتيت إليه أريد نقوداً.. أو أن سيارتي معطلة.. أو إنني أريد أن أغير مدرستي..

نعم.. هو معذور في تفكيره هذا.. فلم نجلس يوماً أنا وهو لنتحدث سوياً كما يتحدث أي أب مع ابنه.. أبداً.. إنني لا أعرفه إلاّ إذا احتجت لشيء.. ونادراً ما أحتاج.. ونادراً ما أراه.. إنه لا يعلم أنني أريد أن أنقذه.. أن أنقذ شرف العائلة الذي ألقته أمي في الأوحال.. لم أتردد.. ولم أتلعثم وأنا أقول له:

– أبي.. هل تحب أمي؟

ذهل في بادئ الأمر.. ثم نظر إليّ نظرة صاعقة.. وكأنني قلت شيئاً حراماً.. وكأنني كفرت بالدين.. بل كأنني كفرت بالأديان السماوية جميعها.. ولم يفعل أكثر من أن بصق في وجهي وطردني من الحجرة وهو يردد بصوت مرتعش:

– ولد فاسد.. أفسدته بتدليلها.. إنه لا يصلح لَشيء..

وصدمت.. هذا الأب المتخلف بعقليته الرجعية.. إنه لن يفهم.. لن يفهم أبداً.. حتى ولو أمضيت الدهر كله أحاول أن أفهمه.. إن المرأة برأيه ليست إنساناً يحس ويشعر ويفكر ويحبّ ويكره.. إنه لا يفهم شيئاً أبداً..

وفكرت.. فكرت كثيراً.. وأخيراً قررت.. قررت أن أراقب أمي بدقة.. وسأتحمل نتيجة قراري مهما كانت.. ومهما كان الأمر.. وفعلاً بدأت التنفيذ.. فبدأت أتغيب عن المدرسة لأراقبها ولكنها لم تخرج.. لا في اليوم الأول ولا الثاني.. ولا الثالث.. ومضى أسبوع وأنا على هذه الحالة وغضبي منها يشتد.. لمَ لا تخرج وتريحني؟ كنت أخاف أن تكشف المدرسة غيابي عن بعض الحصص فيكون نصيبي العقاب الشديد..

ولكنها خرجت.. نعم خرجت في اليوم التاسع من مراقبتي لها.. ركبت مع السائق.. فتابعته بسيارتي.. وأخذت أدقق بشدة حتى لا يراني سائقنا وأنا أتبعه.. وأخذت أسبه وألعنه في سري.. هذا السائق الملعون لا بد أنه متواطئ معها.. ولا أستبعد أن يكون هو رجلها المنشود.. ولكن لا إن أمي لا تتنازل إلى هذه الدرجة.. إنها أرقى من ذلك بكثير.. لا بد أن يكون من اختارته رجلاً مرموقاً بمعنى الكلمة.. وجززت على أسناني وأنا أتخيله.. فشددت عضلاتي بقوة وأنا أهمس لنفسي:

- سأحطم ضلوعه.. سأغرز أنفه في الأرض.. بل سأقتله..

ولكن يا لدهشتي.. لم أر أحداً.. لم أر أي كائن.. رأيتها تدخل إلى مبنى البنك وخرجت بعد فترة.. ثم توجهت إلى مبنى إحدى السفارات.. والدهشة تأخذ مني كل مأخذ.. ويا لعجبي.. لقد تكرر نفس المشوار بعد أيام قليلة.. وبعد عدة أيام أخرى رأيتها مع السائق يتوجهان إلى مكتب الطيران.. وذهولي يشتد وحيرتي تزداد.. لا يوجد في حياتها رجل على الإطلاق.. إذاً ما معنى هذا؟ البنك والسفارة ومكتب الطيران.. بل ما معنى تصرفاتها الحزينة ودموعها الكثيرة.. ومكالماتها الهاتفية الهامسة.. ترى هل تنوي أن تسافر وتتركني.. ولم أواجهها أبداً بما أعرفه.. ولم أسألها.. فلا بد أنها ستثور وتغضب وربما تعدل خطتها فلا أعرف منها شيئاً.. فقررت أمراً جديداً.. قررت أن أتصنت على مكالماتها الهاتفية لعلني أعرف منها ما لم أعرفه من مراقبتي لها في الشارع.. وفعلاً عرفت كل شيء.

عرفت إنني إنسان حقير.. ضعيف.. نذل.. سافل.. لا يقدر المعروف.. عرفت أن أمي الحبيبة كانت تعد لي المفاجأة التي طالما حلمت بها في صحوي ومنامي.. أمنية عمري..

كانت تحضر لي هدية نجاحي.. وهي سفري إلى الخارج لإتمام تعليمي هناك.. كانت تعرف بأن هذا الأمر كفيل بإسعادي رغم تعاستها هي لفراقي.. لذلك كانت تتحرك بأسرع ما يمكن ليكون توقيت المفاجأة مع موعد نجاحي..

سمعت هذا من حديثها الهامس مع خالتي على الهاتف.. كانت لا تريدني أن أعرف لتكتمل لي المفاجأة السارة.. وكرهت نفسي.. كرهت نفسي بقدر ما أحببتها هي.. بقدر ما ظلمتها إنها أشرف وأطهر إنسانة على وجه الأرض..

ترى أي شيطان دفع إليّ بكل هذه الأوهام عن أمي الحبيبة لذلك فأنا أستحق القتل.. بل وأكثر من هذا.. إن ما فعلته بها من سوء الظن يعد جريمة يعاقب عليها القانون.. وقانوني يبيح القتل.. لذلك سأنتحر لأكفّر عن ذنبي تجاهها.. ولكنني لن أسعدها إذا انتحرت بل ستموت غماً وحزناً عليّ.. إذن سأحاول أن أنسى.. وسأحاول أن أكفر عن خطئي في حقها.. وعفواً.. عفواً أمي الحبيبة.



ليلى.. آية العصر..!!

شعر: محمد كامل الخجا

مــن وَهْجَــةِ الشـمس مــن إشْـعَاعة القَمَــرِ
صــاغت يــد الله ليلــى آيــة الــدهر
ليلــى الصــباح بِريَّــاهُ.. ونعمتِــه
لِـيلاي مــن معجــزات الله للعصــرِ
دَيْمُومَــةً في صِــبَا عُمُــرٍ أُقدِّسُــها
صُــغْرى.. لكأَنَّهــا في رابــعِ العَشْــرِ
تَنْهَــزّ لاهيــةً مجاذبــةً
بجديلَــةٍ وجديلــةٍ نَحْــرِي
وتفرفــرَتْ كالضــوء مرتجفــاً
شــفتان مــن ورد ومــن خمــر
نهــدان مــن طهــر ومــن ســحر
في يقظَــتي رَفَّــا علــى صــدري
ويــدان مــن حَــوْلي أحسُّــهُمَا
غُصْــتَيْنِ يلتهبــان مــن جمــر
ورغيبــة خَجْلــى تُراوِدُنــي
فــأَهمُّ لــولا حرمــة الطُّهــر








ويهـــــيجني لهـــب يُخَمِّشُـــــني
تحـــت الغطـــاء بِمُرْهَـــفِ الظّفـــر
ويلـــمّ بـــي ويســـيح في جســـدي
رعـــش و.. مـــا.. والحـــق لم أدري؟!

* * *

يـــا آيـــة العصـــر يـــا لـــيلاي يـــا عمـــري
هـــلاّ رَحِمْـــتِ أســـيراً تـــاه في الفكـــر
كـــم ذا أحـــاول أن أحظـــى بمـــا عجـــزت
أمنـــيتي نيلـــه مـــذ كنـــت في صـــغري
إشـــعاعُ فِتْنَتِـــكِ الوضـــاء مَلَّكَهَـــا
كُـــلَّ القلـــوب.. وقلـــبي المُوقَـــدَ الجمـــر
كـــم ا أحبـــك؟ والأيـــام شـــاهدة
علـــى وفـــائي! بـــه تـــدرين.. يـــا قـــدري!!
لـــيلاي عفـــوك إنـــي هـــائم دنـــف
فيبحـــرِ عينيـــكِ.. في سري وفي جهـري..!!
الآيتـــــان أغرودتـــــا مَلـــــكٍ
شَـــعَّا بروحـــي شـــعاع الشـــمس والقمـــر!!
بـــين الأنـــام أســـير الشـــوق في شـــغف
علِّـــي ألاقيـــك يـــا أعجوبـــة البشـــر
يـــثير بـــي حســـنك الفتّـــان كـــل جـــوي
إبـــداع حســـنك آيـــات لـــذي القـــدر







غفــى علــى نــزوات الــنفس جامحهــا

عســى يخفــف مــن بلــواي في الــدهر

فمــا تنبهــت حتــى راعــني وهــج

والشــمس حَلْــيُ رُبــى وديانهــا الخضــر

يــا شــقوة الــنفس تخلــو بعــد أن عجــزت

مــن اللبانــات والأضــغان والحســر

وضــيعة القلــب لا تــأوي إليــه منــىً

كالنحــل تســلك ســبل الــروض والشــجر

أمســيت لا ريقــك المعســول يســعدني

وغــدوت مجنونــاً جنــون الحــب مــن هجــر

مجنــون ليلــى بمجنــونٍ فتكــت.. بــه

هيهــات يبلــغ.. مــا لاقيــت مــن صــبري

عينــاك كــل الخلــق ضــارعةً:

ســبحان مبــدعها.. في عَشْــيٍ وفي بُكْــرِ

الآيتـــان يُجـــنُّ بينَهمـــا

قلــبي مــن الإينــاس والبهْــر

لــيلاي!! هــل؟ رَكْــبُ الشــباب مضــى؟

بـــالله أَحْلِــفُ! راعِ لــي طُهْــرِي!!







على بوابة القصيدة...

شعر : عبد الرحمن المروبع

بـــوحي.. فمـــا بـــرحَ الأســـى أغـــواري!
بـــَوحي.. فكـــم أســـلو بـــكِ أشـــعاري

بـــوحي.. فمازلـــتِ الأنـــيس لغـــربتي
وحبيبـــة تحنـــو علـــى أفكـــاري

وخـــواطراً ســـامرتها، فتناظمـــت
عصـــماء بـــين قلائـــد الأشـــعار

أنـــت الحبيبـــة.. فـــاملئيني غبطـــةً
نشـــوى علـــى وجهـــي، وفي أطـــواري

*   *   *

بـــوحي.. وبـــوحي.. مزقـــي الصـــمت الـــذي
صـــرخاتهُ وجـــعٌ علـــى إضـــماري







لا تصــــمتيِ.. ثـــوري علـــى صـــمت الضـنى
نغمـــاً يبــــدد وحشــــة الأســــحار

غنيـــــتُ فيـــكِ.. وكــــل أيــــامي رؤى
وبكيـــــتُ فيــــكِ ضــــراوة الأكـــدار

أنـــتِ الهـــوى.. أنـــتِ الزمــــان مســـالماً
أنـــتِ المــــآتمُ.. والزمــــان الضــــاري..!

* * *

بـــوحي.. وبـــوحي.. أنقــذيني إنــــني
مازلــــت أشــــكو حيرتـــــي وعثـــاري

أرنــــو إلى الــــدنيا بمقلـــــة حـــائرٍ
لا الأمـــر أمــري.. مــــا القــــرار قــراري!!

الفكـــــرة الحــــرّةْ..! أنـــين خـــواطري!
والحـــزن دربـــي..! والرحيـــل مـــداري

بـــوحي.. لقــــد خــــرّ الفـــؤاد مضــرجاً
يـــــا مـــــن يعـــيرُ فـــؤاده أشـــعاري..!







السؤال..؟!

شعر: حمد العسعوس

ليلى.. تناشدني أن أعزفَ الوترا
وفي دروب الهوى، أن أنثرَ الدُّررا
ليلى..! أنا شاعرٌ، لكنني كَلِفٌ
بغير شعري الذي قد جفَّ وانكسرا
ليلى..! أنا شاعرٌ، لكنَّ قافيتي
بلا وقودٍ، وليلي يفقدُ القمرا
كان الشبابُ، وكانت نارُ أسئلتي
مشبوبةٌ، وخيالي يعشق السَّفَرا
وكان زِنْدُ شبابي تحت عاطفتي
وكنتُ خلفَ قضايا الأهلِ مُستعرا
وكنتُ أفتعل الأحداثَ. إن سكنتْ
في داخلي.. ورياحي تنفُخ الشُّرَرا
واليومَ يُطفئُ أيامي تقادمُها
والشعرُ يطفئُهُ يأسي، إذا حَضَرا
ليلى.. أرى الركب قد ناءَتْ قوافلهُ
والعُمْرَ. كالشمس، نحو الأفق منحدرا







أوَّاهُ مــن زمــنٍ نــأوي لغابتــهِ
فــلا نصــادفُ في رمضــائه شــجرا
أوَّاهَ مــن زمــنٍ ينســى بلابِلَــهُ
تقضــي بأقفاصــها.. والليــلُ مــا انحســرا
أوَّاهُ مــن زمــنٍ ينفــي قصــائدهُ
فــلا نــرى في نواديــه لهــا أثــرا
هــذا ســؤالُك - يــا ليلــى - يبــاغتُني
وبلبلــي لنــديِّ الغُصــنِ قــد هجــرا
هــذا ســؤالكِ.. والخمســونَ تائهــةٌ
كــالنجم - في أفــقِ الظلمــاءِ - قــد ظهــرا
ليلــى.. أعيــدي علــى ليلــي كواكبــهُ
وأشــعلي مــن شــموعي، كــي أرى الحُفَــرا
هُــزِّي إليــكِ بأغصــاني وأوردتــي
فقــد تُســاقِطُ أشــجاري لــكِ الثمــرا
تلمَّســي في رمــادي جَمْــرَ عــاطفتي
وأوقــدي في ضــلوعِ الشــاعرِ الشَّــرَرا
دعــي القصــائد تهمــي مــن ســحائبها
واشــعلي بَرقَهــا واســتقبلي المطــرا
دعــي القصــائد تــذكيني، كمــا فعلــتْ
ليلــى بمجنونهــا، واســتنطقي الأثــرا!

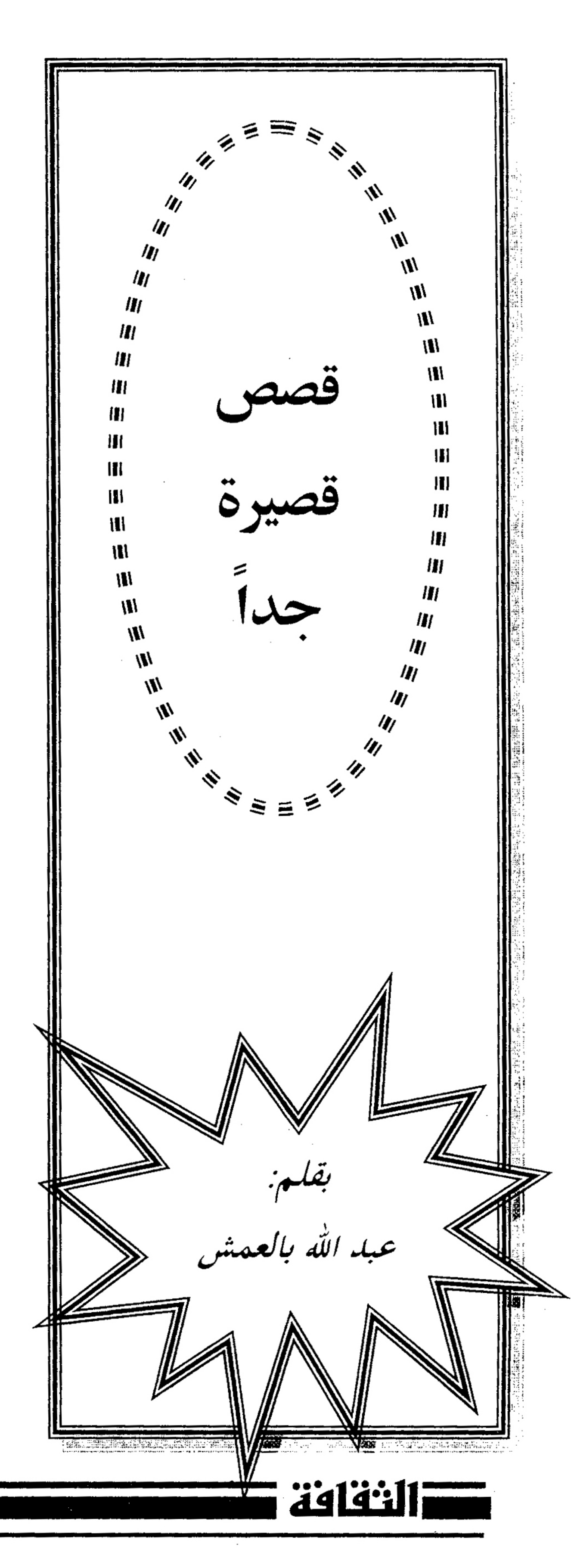






أنـا الـذي مـن خيـالي صُـغْتُ ملحمـةً
تبكـي مقاطِعُهـا الحرمـانَ والضَّـرَرا
قـد استوتْ لُغـتي.. والـروحُ ظامئـةٌ
لا شـيء غـيرُ سرابٍ أرهـق النَّظـرا
فأنقـذيني، وكـوني أنـتِ مُلـهِمَتي
وحَرِّكـي راكـداً.. كـالبحرِ إن هـدرا
بحـرٌ علـى شـاطئيهِ المـوجُ منحسـرٌ
ففجِّـري ثـورة المـوجِ الـذي انحسـرا
سـؤالُكِ الصـعبُ يشـجيني ويـؤلمني
ويـنعشُ الـرُّوحَ والإبـداعُ والسَّـمَرا
وصـوتُك العَـذْبُ إيقـاعٌ وقافيـةٌ
في دفـتر الشـعر، صـاغَ اللحـنَ وانصهرا
ليلـى..! أديمـي حـديثا في مهاتفـةٍ
منهـا شـبابي نمـا في القلـب وازدهـرا
ألقـي علـيّ سـؤالاً، تلـوَ أسـئلةٍ
فـإنَّني حجـرٌ.. لا يُشـبهُ الحَجـرا..!
أضـمُّ شـلاَّلَ عشـقِ لا يُفَجِّـرهُ
إلاّ السـؤالُ.. فيـأتي الشـعرُ منهمـرا
ففجّـري لغـة العشـق الـتي عجـزتْ
ريـحُ الكهولـةِ أن تمحـو لهـا صُـوَرا



البشر والبحر

جلس إلى شاطئ البحر، وراح يناجيه: لِمَ كلما ضاقت بنا الحياة نأتي ونشكو لك قسوتها.. وكلما غدر بنا غادر، نأتي إليك ونبثّك حزننا وخيباتنا؟

لم يجب البحر، ولكنه بعد قليل لاحت نذر العاصفة، فهاج البحر وراح يقذف من أعماقه ما حواه من رمل وطين وأوحال.. فهم الرجل أن البحر يستمع ويستمع، ثم إنه يغضب، فيردّ على الناس بما يضجّ في أعماقه من أوحال وأوساخ وأشياء متفسّخة.

خطوة

فيما الليل يلبس رداء الظلام في سكون، والنجوم تهمس للقمر بعشقها له، والسمّار يتجاذبون حديث العشق في ضوء قناديل الحب، والربيع ينشر عبير ورده على الناس أجمعين، كان الرسَّام يضع اللمسة الأخيرة على اللوحة التي فازت بأجمل إبداع تشكيلي في معرض للرسم.

ذات ليل

ضاع قلمي ودفتري الصغير اللذان يصاحبانني دوماً، بحثت عنهما كثيراً، حزنت بكيت في الليل، راحت دموعي تكتب على وسادتي بعض أحزاني وبعض أفكاري، تبللت وسادتي وغفوت، وفي الصباح تحولت الدموع إلى أقلام والوسادة إلى دفتر!

المسافر

عاد المسافر إلى وطنه، والشوق يملأ جوانحه، ويجعله يهتزّ فرحاً كعريس في ليلة عرسه. انكبّ على ثرى بلاده يشتّمه، ويعفّر خديه به، ويقبّله، وامتزجت ذرّات التراب بدموع الفرح، ولكنه أحسّ في التراب خلوّه من رائحة الماضي وعبق الصبا والذكريات، فراح يُسائل الناس عن السرِّ في ذلك... فاصطحبه أحد كبار السنّ إلى لوحة مكتوبة بلغة أجنبية، وأشار إليه أن يقرأ. وتركه بمفرده وانصرف إلى بيته، والدمع يملأ عينيه.

أما العائد من سفره فكتب على جدار سور المدينة العبارة التالية:

"على الجميع البدء حالاً بتطهير التراب مما علق به من دنس الغبار الممزوج بعفونة الفساد".

الرمز

كلما ضاقت الدنيا به، عاد إلى مكتبته يغرف من محتوياتها علماً غزيراً وحكايات وعبراً.. كان ذكياً وديعاً مسالماً، ولكنه طموح، وله أحلام يقظة.

تساءل ذات يوم: هل يتاح لي أن أصبح رمزاً أدبياً يشار إليه بالبنان؟؟ مثل أبي العلاء المعري مثلاً. وفجأة وقع بصره على صفحة كتب فيها منذ زمن:

"إن المجد الذي تسعى إليه يبدأ من ذاتك، وهو مشروط بالكفاح والاجتهاد والمثابرة والأخلاق والصدق"

ومنذ تلك اللحظة عرف طريق المجد والشموخ.

انطلاقة

وجد أنه يتدلّى حبات من عناقيد العشق، يحاوِر شهد الكلمات، يحلق مع طيور الأحلام بعيداً، فتتراقص جوانحه على إيقاع كلمات مرسومة على شفاه الزمن، أسرجت آماله خيول حلم كبير، فقال: اليوم موعدي مع الشمس، سأدخل مركبتها لأكون قائد الدفة، وعلى شواطئها سيكون لي مرفأ. تناول فرشاته ليرسم على لوحة له نقطة البدء، صارت اللوحة درباً، والفرشاة خطوة.

صورة مضحكة باكية

اتخذت لي كرسياً خاصاً على رصيف مقهى صيفي في إحدى المدن، ورحت أتأمل زحمة الأحياء المتدافعين لكسب عيشهم، وراعني منهم رجل كان يحمل عصا مدببة الرأس، يقطف به ما يشاء من العربات المحملة بالفواكه والخضروات حين تمرّ بقربه، وكان يضع بعض الفواكه في فمه، وبعضها في كيس له وضعه بجانبه، ليعود بعد ساعات إلى بيته، وقد سرق الكثيرين.. إنها حقاً صورة مضحكة مبكية! ولكن هذا الرجل لم يكن يفهم لماذا كان عليه أن يزور الطبيب للمعالجة من فقر دمه بين الفينة والأخرى!!

ذات صباح

ذات صباح يحمل الأشواق، شاهدت طيراً يحمل عيدان القش ليبني عشه، وكانت سحب العطر تفوح من حديقتي التي أحسب أنني لها، فسألتني: لمَ تحبني؟؟

حفرت الجواب على جذع نخلة فيها، وقلتُ لأنك تعطين ولا تأخذين، ولأنك المصفاة التي تنقّي الدنيا من كدرها.




رحلت إليك..

شعر: عبد الرحمن صالح العشماوي

بنيـــتُ الأمـــاني وشـــيَّدتُها | فأحـدثْتِ فيمـا بنيتُ شروخا
وجئـــتُ إليـــكِ.. أزفُّ المنـــى | فـزدتِ صـدوداً وزدتِ شموخـا
وأرسـلتِ نحـوي مراكـبَ شـوقٍ | فجاءتْ، ولكـن أبـتْ أن تُنيخـا
وأحسســتُ أنَّـكِ سـرُّ اشـتياقي | فأزمعتُ – بعد الإباء – الرضوخا
وجئـتُ لأسمـع شـدْوَ الهـزارِ | فقـد ملَّـتِ الأذْنُ شَدْواً مسيخا
وتاقـتْ إلى نغـمٍ شـاعري | تزيدينَـه في فـؤادي رسـوخا
نشـيدُكِ عَـذْبٌ وأنَّـى لمثلـي | إذا سمـع الشـدْوَ الاَّ يُصـيخا؟؟
ودَربُـك وَحْـلٌ.. ولكـنْ بعيـدٌ | علـى قـدمٍ حـرَّةٍ أنْ تسـيخا

*　*　*　*

دخلـتُ إليـكِ.. وحـولي نفـوسٌ | تـذوبُ غـروراً وترجـو شموخـا
تطـير العصـافيرُ في الجـوِّ تنسـى | زمانـاً مضى حين كانـت فروخـا
ويقضي الفتـى عمرَه في الأماني | فمـا يبلـغ القصـد حتـى يشيخا
وكـم مـن رجـالٍ أجـادوا النفاقـا | فصاروا على غير علمٍ، شيوخا
هـو الـرزقُ.. هـذا يقيم قصـوراً | وذلـك يشـقى ليـبنيَ كوخـا







تلويحة..

شعر: محمد أحمد قشقري

ليلاي أنت الهوى قد جئت مرتعدا
ممزق النبض بوحا شاخصا ومدى

مضيّع الرمل والأشواق تحملني
إلى التماس سراب طار وابتعدا

إلى انتظار جراح سار طاعنها
إلى دموع روت في الجفن ما انعقدا

إلى ضفائر ليل قد هفت وسنا
على تخوم نهود لم تنم أبدا

ليلاي والحلم بالأحداق منفرد
والسهد في الهدف قد أرخى الظلام سدى

والريح توغر في الآهات أمنية
فينبس الخفق تلتاث الظنون صدى

هل آن أن يتدلى الشمع منكسرا
وأن تغيب نصال النار نثر ندى

وأن تفيق من الإغراق ملحمة
من الجنون على قرع الصواب غدا

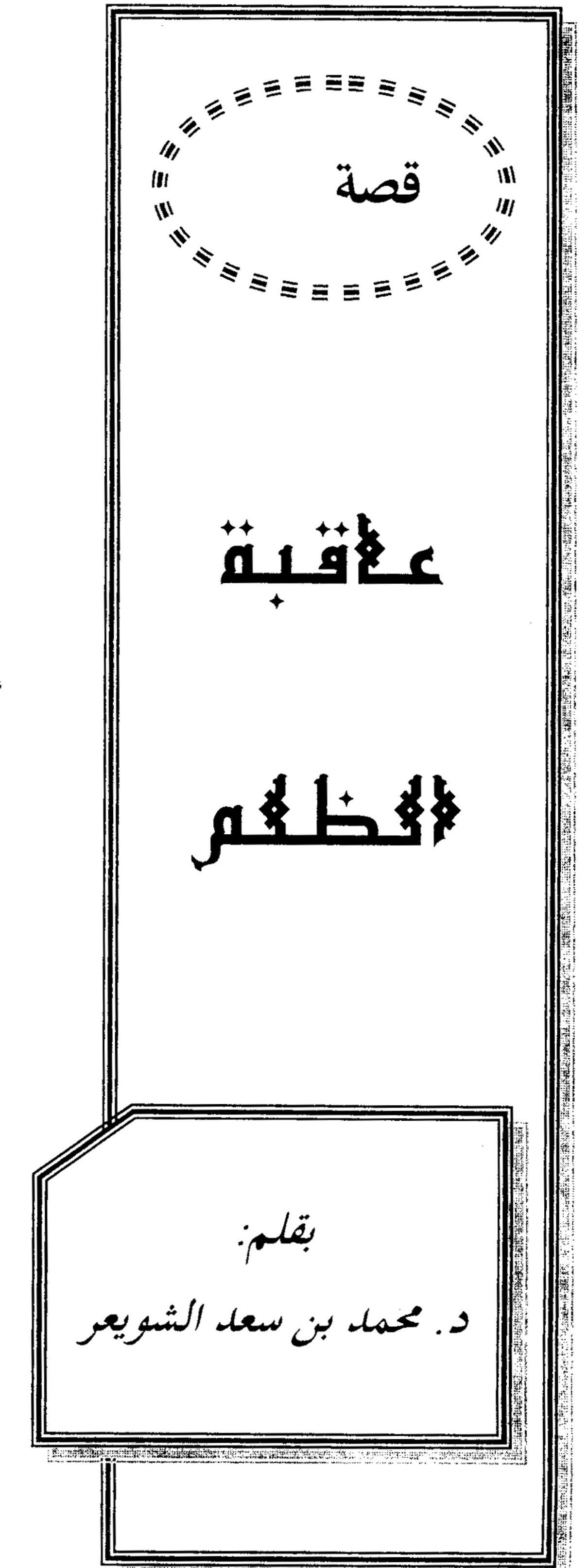
ليلاي عمري شهيق من ترددنا
صدر السحاب طوى في عمقه الرعدا

تورع الحزن أغضى عن تلعثمنا
يأسا وكفكف في الخدين ما اتقدا

وأسبل الصمت لم يفتح لنظرتنا
ورد النجيع ولم يذرف لها جسدا

توتر الخطو سرنا في الضباب مضت
وعدت والسهم ماض والحنين ردى



تدور أحداث ووقائع هذه القصة، منذ قرن وربع تقريباً وهي البداية لهذه الحكاية، فقد كانوا ثلاثة اخوة، ظهرت عليهم سيماء النجابة، وانفتح أمامهم باب الرزق، فهم أينما توجهوا، وبأي سلعة تجارية ابتاعوا أو اشتروا، كان الربح وفيراً، حيث سال المال بين أيديهم، ودّر الزمن عليهم أخلافه، في وقت كانت بلاد نجد خاصة والجزيرة العربية عامة في شح، وأهلها يعصرهم الفقر ويعانون معه شدة الجوع والمرض، مع شح في الأقوات.

والحياة إذا ابتسمت للإنسان، وأقبلت الدنيا عليه، فإن العاقل المتبصر يخاف، يحتسب للعواقب، لأن للمال حقوقاً، وللجاه وعلو المكانة ضريبة.. ألم يقل سبحانه: ((والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)) [٢٤،٢٥ المعراج] ويقول تعالى: ((وأما السائل فلا تنهر)) [الضحى١٠].

لكن نشوة الجاه، وتدفق المال، قد يتسبب عنهما غفلة، تنسي الإنسان ما يجب أن يتذكره، وتلهي عما يتحتم أن يراعي.. خاصة إذا كان الإنسان يعيش في بيئة إسلامية، تربطه بأفرادها عقيدة دينية تفرض عليه حقوقاً، وتلزمه بواجبات، وبمجتمع يعين على أعمال الخير، ولأنه يبصر بمداخله ليرعى طرق الإنفاق فيه.

نمت المادة تجارة وعقاراً عند هؤلاء الأخوة، وفي كل يوم يزداد الرصيد، ومع كل صباح تتسع أعمال التجارة وينمو مالهم حتى قيل: لو اشترى الواحد منهم حجراً أو عرض للبيع رملاً، لكان عزيزاً عند الناس، يتسابقون

للمزايدة فيه، وحب تملكه. فكان حظهم وتجارتهم مضرب المثل. ومع كثرة المال، ازداد نسلهم، واتّسعت شهرتهم، ليس في بلدهم أو محيطهم، بل تعدى إلى آفاق بعيدة، حيث قرروا توزيع العمل، أصغرهم في بلدهم، يستقبل ويبيع ويشتري، ويوزع على عملائه في المنطقة. والثاني يسير مع القوافل الكثيرة والكبيرة برجالها وحراسها، المحملة بالبضائع المستوردة، والبضائع المصدرة، في عمل دائب، وتنقلات مستمرة بين أخوين وبين تجارة الخليج وما وراءه. والثالث يتنقل بين من يتعامل معهم في الشام وما وراءها، وفي أرض الرافدين وما خلفها، وفي موانئ الخليج، وما تنقله السفن من البلاد البعيدة.. وكان أكثر استقراره في سوق الشيوخ لتوسطها ولتجمع الطرق بها. فكانت محط أنظار كبار التجار ذلك الوقت. سارت الأمور مقبلة عليهم سنوات عديدة. فاتخذ أخوهم في بلده لنفسه قصرا منيفا، به الحدائق الغناء.. والأشجار الوارفة.. والثمار اليانعة من كل نوع.. فكان جنة من جنان الصحراء الشهيرة.

كان وجهاء المنطقة إذا قدموا تلك البلدة، لا يفارقون مجلس عبد الرحمن – وهذا هو الاسم الذي اخترناه لأصغرهم – إذ يجدون في كنفه حسن الوفادة، وبشاشة المحيا، ولذائذ الطعام لهم، وللوجهاء الوافدين لبلده من كل مكان. كان عبد الرحمن منعّماً ومخدوماً: منعماً بما هو فيه، من لذة الحياة، ووفرة المال بذلك البريق يبهر في مجتمعه حيث يسيل بين يديه، إذ يعتبر في وقته كأحلام ألف ليلة وليلة. ومخدوماً بكثرة المماليك والخدم، الذين يتولون الأعمال العديدة ويراقبون إشاراته ليزدادوا في الاهتمام.. بل كل من حوله يتمنى أن يحظى بالخدمة عنده. مثل هذه النعم تحتاج إلى شكر، وأداء الحق.. لكن كما يقول دوام الحال من الحال.. والنفس لا بد من كبح جماحها، وصدق الله في قوله الكريم: ((كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى))، [٦،٧اقرأ] إذ النفس الأمارة بالسوء، تحتاج إلى زمام قوي يردها عن غيها، وقرناء السوء، يلزم لهم قوة إرادة، وقوة إيمان، يردعان تسلطهم والتأثر بهم.

كان من عادة الناس في البلدان في ذلك الزمن، أن يسرحوا يوميا منائحهم، مع الراعي الذي يتقاضى عن كل رأس من الغنم مبلغاً زهيداً في الشهر، في ذهابه بها صباحاً للمرعى، وعودته بها في المساء في عمل متواصل، كل يوم بعد أن يتلمس لها المرعى الطيب يوماً بعد يوم، ويتوجس ما تجد فيه هذه الأغنام شبعها لتسمن ويزيد لبنها، مما يغني أصحابها عن كلفة البحث لها عن طعام. وكان لدى أهل البلدة اصطلاح في المسميات، فكانوا يسمون بستان عبد الرحمن المحتوي على قصره وما يشتمل عليه من مزارع وأشجار (الحوطة) ولعل هذا من إحاطته بسور له أبواب يحفظه ويحميه. وراعي الغنم (الشاوي) ومجرى السيل الذي سقي هذه الحوطة (صنع). ولقد لوحظ أن راعي الغنم في مراحه اليومي، كان يتجنب المرور بهذه المنطقة، مهابة من عبد الرحمن، وتقديراً لمكانته. وفي يوم من الأيام تنازع رجلان الكلام فيما يتعلق

بالراعي، ولماذا لا يذهب للمراعي الخصبة خلف حوطة عبد الرحمن؟ لما فيها من نباتات وافرة، ومراع جيدة. ومع الأخذ والرد قال أحدهما: أنا أحمي الراعي من رجال عبد الرحمن، وأشجعه على الذهاب للمراعي المنوه عنها. وذلك من باب التعالي والاعتداد بالنفس. جاء اليوم الأول الذي يمثل التحدي، وخرج الرجال مع الراعي لحمايته، وحراسة أغنامه، ثم عاد في المساء، في أمور عادية جدا.. فظنوا أن تخوفهم في غير محله، وأن الأمر أقل مما كانوا يتخيلون، وغاب عنهم أنهم في مجتمع تشتعل الفتنة فيه بكلمة، ويوقد النار شرارة. حضر الرجل الثاني مجلس عبد الرحمن متزلفاً ومتصنعاً، وهو يضمر الإضرار بمن خاصمه، ويعمل الفكر في كيفية المدخل إلى تكبير الصغائر، وإيغار ما بين الجوانح، فاختلس من عبد الرحمن نقطة ضعف، وقال: أغنام الشاوي (عوّاض) في ذهابها وإيابها، رأيت أثرها وأنا قادم إليك قد أفسدت (الصنع) وهدمت جوانبه، ولو جاء سيل ما وصلكم منها شيء.. وتضيع المياه في الصحراء. سكت عبد الرحمن على مضض، لكنه بيّت أمراً، إذ بعد صلاة الفجر، دعا عشرة من مماليكه وخدمه، وأمرهم بالتهيؤ معه. فخرج مع طلوع الشمس، وهم وراءه، واعترضوا طريق (الشاوي) وردوا بعنف الأغنام على أعقابها. ولم يكفهم ذلك بل أمسكوا براعيها ثم انهالوا عليه بالضرب الشديد، فأغمي عليه وأصابوه بأضرار بالغة. وصلت الأغنام للبلد بمفردها مخلفة الراعي وراءها، فاسترعى ذلك كوامن النفوس، ففزع من فزع ليجدوا الراعي مكتسياً بدمائه، مثخناً بجراحاته، فما كان منهم إلا أن حملوه إلى البلد، وتعالم الناس بالخبر. ولمكانة عبد الرحمن واخوته أرادوا تسكين الأمور، فقرر أحدهم أن يتولى علاج الراعي وتبرع آخر بالإنفاق عليه حتى يتعافى مما حصل به من جراحات وكسور أو يكاد. وثالث رأى أن يتفقد أحواله، ويتابع علاجه. وهكذا تسابقوا على رتق الخرق الذي اتسع بفعل عبد الرحمن ورجاله في تحمل جوانب من الرعاية والعناية بهذا الراعي. تحمل أهل البلدة تلك الحادثة على مضض، وهدأوا الأمور مصانعة ومجاملة. لكن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، وعبد الرحمن قد أخذته العزة، ونشوة الانتقام فلم يعتذر لجماعته، ولم يقدم للراعي شيئا يخفف الآلام الواقعة عليه. لقد سرت دعوة الراعي المعتدي عليه ظلما، ووجدت عند الله باباً مفتوحاً، سرعان ما ظهر أثرها حيث أن الراعي بعد ما شفي من علته، أصبح مشلولا قاصر القدرة على العمل. برزت للناس آثار هذه الدعوة تدريجيا، إذ في يوم من الأيام، جاء مربِّي أغنام عبد الرحمن بأجودها وأنفسها ليجتر صوفها فاختل توازن واحدة من أزكاها، وتدحرجت على الأرض وعبد الرحمن واقف أمامه يرى الحادث عن كثب حيث انكسرت يدها، وصارت ترتعد وتنتفض. بكى عبد الرحمن لهذا المنظر فلامه مربي أغنامه بقوله: يا عمّ تبكي على شاة، وأنت تملك أموالا كثيرة لا تعد ولا تحصى. رد عليه قائلا: لا.. إني لا أبكي على هذه الشاة،

ولا على عشر مثلها، ولكني أبكـي علـى مـا وراء ذلك لأنني خشيت من الإدبار، وأن يكون ما حصل للشاة بداية لما وراءها من شر. بعد أيام قلائل جاء أحد الخدم إلى حظيرة الإبل، في هزيع الليل، ليذهب بأربعة منها إلى المنحـات لامتياح الماء وسقيى أشجار (الحوطة) كالعادة في المبادلة بين هذه الإبـل، فوجـد بعضـها مضطجعة على جنبها، فحركها يريد إنهاضـها وإذا هي ميتة. مع أنها في أول الليـل كانـت قوية سمينة ولا مرض بها.. ذهب إلـى عبـد الرحمن وأخبره فازداد حزنه، وبان الأثر فـي قسمات وجهه. وبعد أيام وصلت أخبار القوافل لتنزل عليه صاعقة أخرى: فقافلة أخيـه قـد اعترضها قطاع الطريق، ودارت بينهم معركة، فقتل فيها أخوه، وابنه معه، وثلاثة من رجاله، ونهبت القافلة عن آخرها. ثم بـدأت تتـوالى المصائب، وتزداد الخسائر.. إذ تغيرت الحـال فبدل أن كان الفلس في يده يتحول إلى جنيـه ذهبي، أصبح الجنيه الذهبي أقل بركة في يـده من الفلس، وكسدت تجارته، فقرر أن يـنكمش في مزرعتـه الـوافرة بأشـجارها ومياهها وخيراتها، وينعم بـذلك بقيـة حياتـه.. إلا أن إرادة الله فوق كل شـيء، ووعـده سـبحانه بنصرة المظلوم، وإجابة دعوته كما جاء فـي الحديث القدسي: ((وعزتي وجلالي لأنصـرنك ولو بعد حين)). فقد أصبح عبد الرحمن يومـا ليجد البئر قد انهارت، وسقط طيها في جوفها، وتلاءمت جوانبها عليها.. فحمل متاعـه إلـى بيت صغير كان للعائلة في وسط البلدة، وصار يمر (بحوطته) بين الحـين والحـين، ليـرى وبحسرة جمالها يذبل، وأشـجارها تتهـاوى، والخراب يدب فيها، ويسري في جميع أطرافها يوما بعد يوم. حتى أصبحت أثرا بعد عين أمام ناظريه.

وهكذا توالت المصائب وانفض النـاس من حوله: كسدت التجارة، وأغلق الدكان وبين الفينة والفينة يموت واحد من الأسرة، والخدم لا يجدون ما يقوتهم فذهبوا عنه، وأخوه الأكبر في الديار البعيدة، وصـلـه خبـر عنـه بأنـه مريض، وبعد فترة نعي إليه، كما باع مماليكه وكثيرا من مقتنياته وأملاكه.. وأصبح الـذين يحسدونه بالأمس، يتأسفون على حاله اليـوم. وهكذا يرى الله عباده العبرة في تصرفات هذه الأسرة، وما حل بها نتيجة للتكبر والظلم حتى مات عبد الـرحمن فقيـرا، بعـد أن ذاق آلام الحزن.. ومرارة نكد الدنيا.. لكنه كان ملازمـا للمسجد، كثير الدعاء، لعل الله يجعـل عقوبـة الدنيا كافية عـن عقوبـة الآخـرة. ويقـول العارفون عن هذه الأسرة، إنه لم يبق لهم الآن عقب، حتى أن آخـر امـرأة تنتمـي لهـؤلاء الأخوة الثلاثة، ماتت قبل ستين عاما، وبموتها انسدل الستار علـى تـاريخ هـذه الأسـرة، وأصبحت واقعتهم عبرة لمن يريد أن يعتبـر. أما ذلك الراعي الذي تعدى عليه عبد الـرحمن ورجاله، فقد جعـل الله فـي ذريتـه النمـاء، وأصبح مـنهم الأغنيـاء وذوو الجـاه، فـإن الله سبحانه يرفع أقوامـا فـي هـذه الـدنيا، ويضع آخرين، وصـدق القـول المـأثور: إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتـذكر قـدرة الله عليك.



في زورقي..

شعر : عبد الله بن ادريس

ربــــاه بلـــغ بالســـلامة زورق الحلـــم الجميـــل
فهنـــا أعاصـيـر الشـقـاء تفـح مــن خلـف الأصيـل
وهنـــا شــراعي لامــس المـــوج المجـنح في ذهـــول
وتلفـــت القلـــب الشـجي فهالـــه الأمـــس الثقيـــل
فـــإلى الأمـــان لشـــاطئ نتنســـم الـــريح العليـــل

* * *

لعـب الخضـم بزورقـي فطغـى علـى مجرى الشعور
أفمـــا أطلعـت فخلـتني كـالطير في كـف الصـغير..؟
إن كـــان ذاك فـــإنني مازلـــت أحلـــم بـــالعبور
إن العبـــور إلى الأمـــان لخطـــوة الشـــهم النبيـــل
ربـــاه بلـــغ بالســـلامة زورق الحلـــم الجميـــل
ورنـــوت للأفـــق البعيـــد إلى الكرامـــة والســـماح
لا ضـير إنـــي أرتئـــي شـــق المصـــاعب بالكفـــاح
وهنـــا عطفـت بزورقـــي فجـرى علـــى كـــف الريـــاح
والحـــر يمقـــت عيشـــة يبقـــى العزيـــز بهـــا ذليـــل
ربـــاه بلـــغ بالســـلامة زورق الحلـــم.. الجميـــل

* * *







أنا ما حييت فشيمتي تأبى التملق والخداع
هل مبدئي غير الصراحة والنزاهة في الضاع؟
إن كان رزقي يقتضي مني خنوعاً وانصياع
فعلى الغنى مني السلام وبؤس للمجد الأثيل
رباه بلغ بالسلامة زورق الحلم الجميل
ملك السماء والأرض هل من قادر يرجو العباد
إلاّك، في دفع المكاره والظلامات الشداد
إن "البغاث استنسرت" بل جانت سبل الرشاد
ونعيمك المدرار قد يعلي الحقير على الجليل
رباه بلغ بالسلامة زورق الحلم الجميل

* * *

أبداً اصون كرامتي رغم الصعاب العاتيات
لن أنثني عن مبدئي فالحق أجدر بالثبات
ومكاره الأيام تصنع في الرجال.. المكرمات
فالتجر بي يا زورقي كي نعبر البحر المهيل
رباه بلغ بالسلامة زورق الحلم الجميل
ومضى بي الإعصار يقتحم الحواجز والسدود
والقلب يخفق لاغبا والفكر يعلوه الشرود
ومحيطنا "ليل" فهل "نور" يضيء لنا الوجود؟
ولقد سئمت وعاقني عن مطمحي الليل الطويل
فتنفس "الإصباح" عن نور أضاء لي السبيل




قصة

م ٣٣

بقلم:
عبد الحفيظ الشمري

مؤكد أن هذا الرجل الذي يحييني كل صباح بحياد له وجهان، وبجوفه قلبان، ببللين، وفي فمه لسانان حكاءان أو أكثر. بأربع عيون، وطاقة فطرية متناهية في الإصغاء، والاستقصاء لأدق تفاصيل الأقوال، والحكايا. بشارب ولحية كثّة، ورائحة عرق نافذة.. هاك بعض سيما وجهيه الطافحين بالخواء..

الوجه الأول

يحتمل الرجل الخمسيني (مستخدم ٣٣) أصنافاً من الأقوال الحادة. يستجيب للأوامر. ينفذ الطلبات، ويصغي للوصايا، ويقبل التوجيهات. يجلب الشاي للموظفين الكسالى.. الكبار والصغار. يحضر الجرائد لرئيس القسم، والفول لموظف الصادر، والساندويتشات للناسخ، والطعمية والفلافل للمهندس المغترب.

يؤمر فيطيع، ويؤمر ثانية فيعاند.. يسرف في الأحاديث المنقولة، وينهل من معين العنديات والتهيؤات. يسرد تفاصيل المغامرات الغابرة وكأنها له.. لا أحد ينتبه إلى ما يهيله على ذاته من رماد تزيين الذات، والادعاء المظلل ببلوغه شفق (المراجل) الوهمي والمهترئ.

ينقض فتل غزله، ويكف عن لوثة عقله لحظة أن يؤمر بغسل الكؤوس والفناجين،

وتنظيف منافض السجائر، أو إحضـــار أوراق الصادر، ومعاملات الوارد.

تناهبته أصوات وقحـــة ليـــافعين التحقـــا بالخدمة حديثاً: يا كثر بربرتـــك - ول - رح - جب - خذ - ود - أنت بالع مسجل - يا ثقـــل دمك يا مأخوذ... مع نفحـــه بعـــض الألقـــاب المجانية، ونعته بالصفاقة والادعاء.

الوجه الثاني

بعد الظهيرة المجهدة، وحلول السكينة من هذا المهياج المؤذي خلف اللقمة يهرع الرجل الخمسيني بالسيارة الهرمة عن المدينة ووجوه أصحابه الموظفين المكررة والسمجة. يتوارى في الخلاء عن صفاقتهم التي تعلمها الـــبعض منه.. يلوذ ببيوت اسمنتية قرب الرمل هرباً من جراحات كثيرة يفيض أولها على شـــكل بـــوح عاتب:

- اهبو.. يا شينكم يا لحضران..

وجوده هنا في هذه الهجر النائية معكوس تماماً.. شيخ عام. يأمر فيطاع. يطلـــب فتلبـــى مطالبه. نزق لا يصغي لوصايا من حوله.. في المساء توقد النار أمامه في الخباء قرب البيت الإسمنتي الهرم؛ يجسد اللهـــب مهابـــة رجـــل بشارب ولحية كثّة. يحتل صدر المجلس. يساق له الفنجان في الغالب أولاً، ويقدم في الـــدخول على المائدة.

يمارس دور السلطة المطلقة لإرث عائلي مهترئ يحمله على عاتقه، ويفيض من عينيه على شكل مهابة غائبة لن تعود.

له امرأتان (ويقول: تحتي حرمتين)، ولـــه تسعة أبناء، وأربع بنات، ويعده أحد المتملقين بأن يزوجه ابنته الصغيرة.

لديه في هذا البيت الهرم، في جوف هـــذا الخلاء اللاهي عاملان؛ يأمرهما بازدراء بغسل الكؤوس والفناجين، وإحضار الحطب، وحلـــب الشياه. تستقر في أعماق ذاته الدعيـــة زيفـــاً أقوالهم على هذا النحو:

- يا كثير الخير.. يا طويل السلامة.

وإذا ما التـــأم عقـــد رفاقـــه، ومريديـــه، وحاشية مهلهلة من العمومة وأبناء العمومـــة والمجاورين يقول في حضور هـــؤلاء شـــعراً صاهلاً معباً بالحكمة الجوفاء، والوصايا البالية؛ ليردد من حوله وبجذل مصطنع:

- يا زيـــن قصـــيدك. يـــا حلـــو نبـــاك؛ لا عدمناك..

يكاد يتراقص شاربه لفرط انتشاء يغمـــره من غطاء هذا المديح الموارب؛ لكنه فـــي كـــل ليلة يهم فيها بالانصراف للنوم يتذكر وجه أول يومه.. ذلك الذي يذكره وعلى نحو فج بما يقال عنه من أنه بـــوجهين، وقلبـــين، وبلســـانين حكائين طويلين.

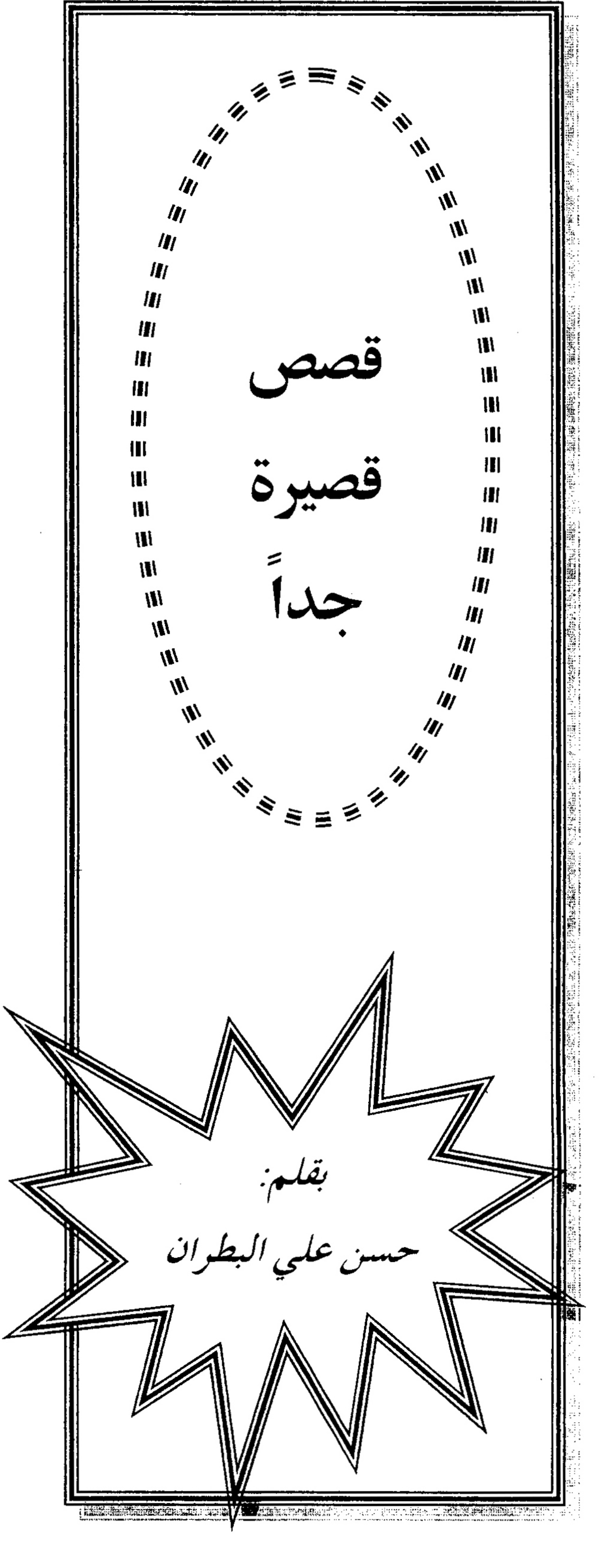



ذكريات مؤلمة..

شعر : سارة بو حميد

مللنا سئمنا
حتى الربيع والزهور
حتى غناء الطيور
حتى انبثاق الماء من نافورتنا
لم يعد ما يدخل البهجة إلى قلوبنا
رتابة مملة
لم نعد نفرح لتفتح
الورود في حديقتنا
وهذه الياسمينه قد أزهرت
وانبعث أريجها يملأ منزلنا
فأين مقاعدنا التي كنا نصفها في الحديقة
تحت هذه الياسمينة
أين ذلك المقعد الكبير
الذي كان يجلس عليه أبي
يضيء حياتنا بوجهه البشوش
ويبعث السعادة في قلوبنا
المكان خال هذا العام تحت الياسمينة
لقد رحل أبي
رحل من كان سر سعادتنا
ومن علمنا حب الزهور والورود
رحل وأصبح مقعده الكبير
في وحشة كئيبة
ومقاعدنا أيضاً خالية وحيدة
تنظر إلى الفراغ بحزن وصمت
كم شهدت عريشة الياسمين
جلساتنا المرحة.. فأين سعادتنا
وإقبالنا على الحياة
رحل أبي ورحلت معه كل بهجة
فيا شجرة الياسمين لا تزهري بعد الآن
ويا أيتها الزهور والورود لا تتفتحي
وأنت أيتها الطيور لا تغردي
أما أنت أيتها المقاعد الجامدة هناك
تحت الياسمين فابقي كما أنت خاوية
فالراحل لن يعود..



شرود

يجلس بجانب الشجرة يحتسي القهوة..
غارقاً في تفكير عميق..
حجارة صلدة ترمى بالقرب منه..
محبس من الألماس يغطيه الماء الذي يتساقط من أعلى الجبل..
يحاول أخذه..
لا يستطيع..
قوة هائلة تمنعه..!

ارحل..

وصلَ مكشوفَ الرأس..
الهواء يتلاعب بشعيراته المتناثرة فوق صحراء رأسه..!
ظل واقفاً أمام أسوار المعتقل..!
ورقة صفراء تصل إليه
ارحل..!
الوردة ذبُلت وتطاير أريجها..
أمسك بيديه ورحل إلى حيث لا يدري..!

منظار

ينظرون إليه.. وهو فوق النخلة يجني الرطب..
هو:
– أراكم صغاراً..!

بصمة

تفاجأ، وهو يرتدي ثوبه الجديد بأنه مثقوب..!

خيوط الحرير لا تمحو عيبه، ولا تستر عمقه..

يظل الثقب فيه بصمة للأبد!

نزف

قطط داخل برميل قمامة..

تتصارع بتفنن من أجل فك تنوع هذه القمامة، التي تتجدد كل ساعة بجانب هذا المنزل..!!

بالجانب الآخر..

هيكل امرأة بخمسةٍ تمد يدها..!

حرارة..

عيونُها تذرفُ دموعَها..

يوارى في بيته الأخير..

رطوبةُ لحدهِ لم تجف..

تنتظرُ من يطرُق بابها..!

غيرة

الوردةُ الحمراء التي تقطفها له كل صباحٍ ذبُلتْ وتلاشى أريجُها..

بعد عودته من سفرهِ..!

عباءة..

يتخفى خلف العباءة، يدسّ رأسه..

رياحٌ سلختْ عباءته..

ووريَ الثرى..

أنيكيت

تفرغتْ لنفسها وضيوفها؛

استغلتْ تلك هذا الوضع..

جذبته عنها إليها..!

وأصبحتْ السيدة الأولى..!

قراءة..

رسائله تصل إليها عبر نظراته

بالغَ في تكحيل عيونه، فانقطعت عنها رسائله..!

تنافس..

طفله لا يلتذُّ بلبنِها!

صراعٌ من أجلِ ذلك..

عقدا اتفاقية بتقاسم الثروة..!

نضوج..

فزعتْ من نومها خائفة، وصرختْ:

- أمي.. أمي، سأموت، سأموت!!

أمها على عكسها تماماً، فرحتْ وابتهجت:

- ابنتي لقد أصبحتي امرأة..




قراءة..

شعر: إبراهيم حامد العبّادي

اقــرأ وسلســلة التــاريخ تلــتحم..
والكــون يــزدان والأفــلاك تبتســم
اقــرأ فــأوردتي عطشــى وأروقــتي
تشــتاق للأفــق والأيــام تنصــرم
اقــرأ فهــذا كتــاب الله إن بــه..
مــا يــدفع القلــب والأحــداث تحتــدم
اسـكب حـداءك في نـبض الوثـوب فمـن
يهــان المــوت والأســياف تصــطلم؟
امــح الظــلام بحــرف مــن يــد عرفــت
أن تقــرأ الجــرح ثــارا ســوف ينــتقم
انثــر علــى ألــق التــاريخ ذاكــرة
ليفــتح المجــد في عينيــك معتصــم
واكتــب شــواطئ عمــر أن مبحرهــا
ليــدفع الــزورق المســتوحش الحلــم؟
لتبــزغ الــريح مــن أطــواء دمدمــة
تحــدث الــبرق عــن أمــس وتحتــدم
هــذا الوصــول أأنــت الآن معــترف؟
أن الفــلاة جــراح الركــب مــذ قــدموا
أبكــي الضــفاف فــلا المجــذاف منتظــر
صــدر الرحيــل ولا الأمــواج تعتــزم
قــل لـي فـداك دمـي مـا العمـر دون مـدى
يــأوي إليــه غــد.. إن هــدّه الألم







هذه الجزيرة..

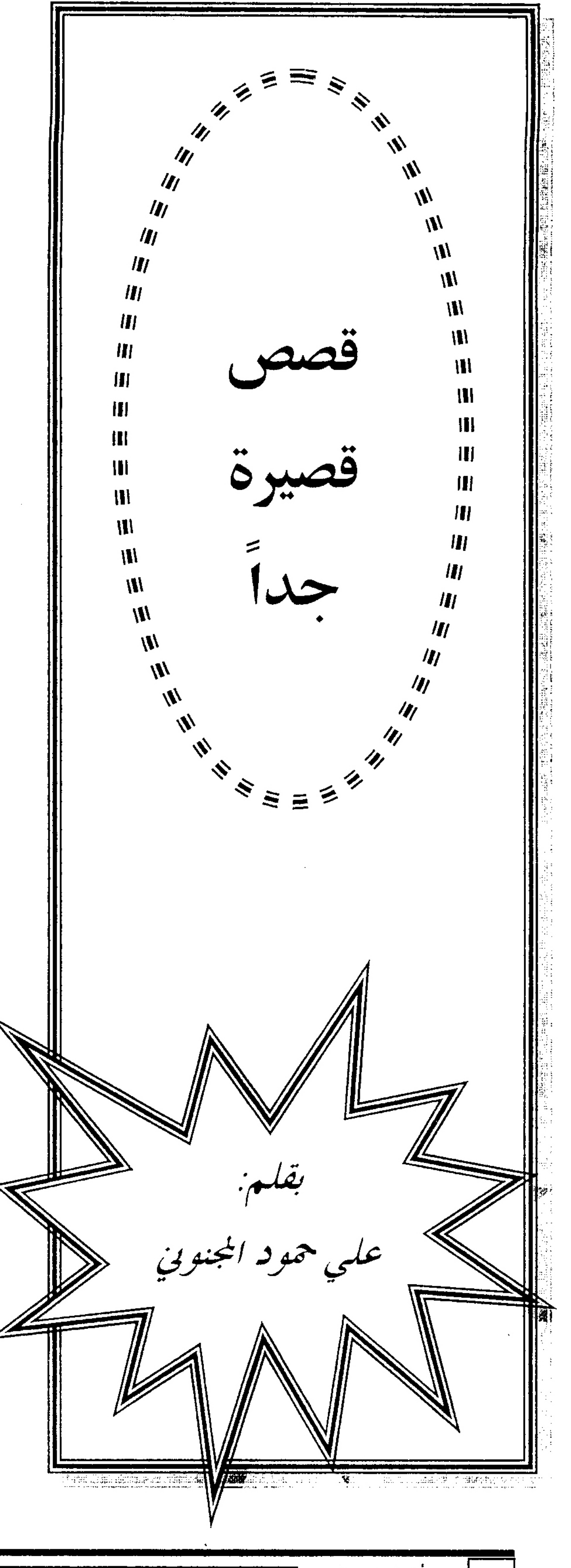
شعر : عبد الله بن محمد بن خميس

لـو أباحـت بمـا لـديها الطلـول ... أي شـيءٍ تبينـه لـو تقـول
واكبتهـا مـن الحيـاة ضـروب ... وامتطاهـا مـن الأنـام شـكول
تشهد العيس حسراً من وجاهـا ... شـفها الوخـد والسرى والـذميل
ضـامرات كـأنهن العـراجين ... طواهـا بعـد التموك النحـول
يسـكب القـوم فوقهـا كـل لحـن ... تتنـاغى مـن سـحره وتميـل
ضـاربات مـا بـين (هجـر) و (حجـر) ... وبأعناقهـا البطـاح تسـيل
تترامـى بمـن عليهـا المرامـي ... ولكـم أخفقـوا وحـار الـدليل
ولكـن روعـوا ومـا الـروع إلا ... مـا انطـوى - عـادة - عليـه السبيل
لا مـن الغـول والشـياطين لكـنٍ ... تتنـزى مـن الأنـام الغـول
الفتهـا أرض (الجزيـرة) أحقابـاً ... ومـن البـؤس والأذى مـا يطـول
وطـوى الغيـب في ثنايـاه سـراً ... غامضـاً مـا اهتـدى لـه التخييـل
مـا أتاهـا بأنهـا سـوف تمسـي ... ودم الجهـل فوقهـا مطلـول
ولهـا في فـم الزمـان دوي ... متلئـب تحـار فيـه العقـول
نسـجت بـين أهلـها حيـث كـانوا ... آصـرات دعـا إليهـا الرسـول
جمعـت بـين (هاشـم) و (صـهيب) ... لا فـروع تحوكهـا أو أُصـول
فهـي مـا شـئت خلـة وولاء ... وهـي للمعتقين ظـل ظليـل
وهـي حـب لمـن أراد التـآخي ... وسمـام للمعتـدي ونصـول

وآخـاءٌ مـا بـين بحـر وبحـر ... بينهـا البيـد والربـى والسـهول

بـريءَ الحـق والهـدى مـن أُنـاس ... همهمـا الشـتم والأذى والفضـول
خلـق الله للزعامـة أهـلا ... هـم رجـال إذا الرجـال قليـل
إن يقولـوا فـالقول منهم سـداد ... أو ينيلـوا فالفعـل منهم جميـل



مكافأة

بما أنّه ألقى القبض في نوبته على أخطر تجّار السلاح في بلدته، فقد رأت إدارة الشرطة المحليّة أن يُنقَل الجنديُّ إلى نقطة تفتيش أخرى بعيدة عن البلدة، حيث لا أعوانَ لتاجر السلاح المقبوض يمكن أن يتربصوا به. وخلال فترة وجيزة من نقله كان السلاح يُتداول في شوارع البلدة مثلما الخبز.

ذانك اللذان غابا

على طاولة قلقة انتظرها طويلاً لكنها لم تأت. من طاولة، قلقةً أيضاً، أتت امرأة وجلست أمامه. قال لها بأن التي ينتظرها لم تأت، فردّت بأنها هي أيضاً كانت تنتظر واحدها.

نثر بحضرتها كل الكلمات التي كان قد أعدّها لتلك التي غابت. فمنحته كل الذي كانت قد أعدّته لذلك الذي غاب.

مواطَنة

حشر وطنَه داخل حقيبته متجاهلاً كل النداءات التي كانت تتناهى إلى مسمعه، بما فيها أزيز الطائرة وهواؤها الطّارد.

اعتلى الجوّ بارتباك ثم أراح قلقه على المقعد. هناك تطلّع من ركن النافذة بشيءٍ من التشفّي. ولمّا لم يرَ أي وطنٍ تحت الضباب تذكّر أنه حمل وطنه معه.

تكوين

أراد أن ينفخ في بوق الفرح ويغني وسط الضجيج الذي بدا هاطلاً على المكان كسحابة من الرمل. ضمَّ كفّين خضبهما الخوفُ من الأعين المنتشرة في الأرجاء، واستند بتَوْقِه إلى ثبات المائدة. كانت كفّاه المحتويتان كفّيها وشيءٍ من الضجيج المتسرب، كفكَّيْ صَدَفة تغمر داخلها رملاً بينما يغمرها البحرُ في قاعه السحيق.

التقى القلبان على فراش المائدة فارتعش لسانُ ضوء، وفاح شريطُ عطر، وسُمع هديلُ حمام. ضمَّ كفّيها داخل الصدفة، فانتشى لانصهار الأكفّ الأربعة على المائدة، وصدح بأغنية الشحارير.

من بين الضجيج سقطت كأسٌ من يد النادل فزاغت إلى شظاياها كل الأعين، أمّا الرمل المضموم داخل الصدفة فقد أصبح لؤلؤة.

الواقف على ساق مفردة

استند إلى حائط قصيٍّ عقب أن أضناه المسير، فغدا كخشبةٍ وُسِمَ بها الحائط.. كل الذين يمرّون عليه كانوا يتوقفون عنده ويتساءلون: هل هي ساقُه اليمنى أم اليسرى؟

وعندما لا يسمعون إجابةً يمضون تاركين علامات تعجُّبهم خلفهم. صنع من تلك العلامات ساقاً ثانيةً، ومشى على حين غفلة.

حين يكون الرحيق

كان شوقُ الفرشة عظيماً عندما حطّ بخفّة على خدّ زهرة الياسمين، فهي قد جالت كل الحقول كي تصل إلى زهرتِها. لكن شيئاً لم يكن في حسبان الفراشة وقع.

اعتذرت زهرة الياسمين للفراشةِ قائلةً بأنها ليست مستعدةً اليوم لمنح رحيقها للفراشة. غيرَ بعيدٍ كانت زهرة الحرْمَل بطعم رحيقها وجمالها المتواضعَين في شوقٍ عظيمٍ لأنْ تحطّ عليها فراشةٌ ولو مكسورة الخاطر.

المصباح

حينما كان يطوي حقائبه ويلملم أوراقه لسفرٍ سيطول كثيراً، أخذ يتفقّد الغرفة في محاولةٍ أخيرة للتأكد من عدم ترك أي شيء يمكن أن يخبر عنه أو يدلّ على وجهته التي سيغادر إليها. تذكر مصباحاً ذا رقبة معدنيّة طويلة موضوعاً على زاوية مكتبه القديم كان أنيسَه في السّمر، وكان يشاركه القراءة ويتجسس على كل ما يكتبه كلما جَنَّ عليه ليلٌ وأسال حبرَه على خُرْس الأوراق.

خشي أن يكشف المصباح المعدنيّ مخططاتِه فقرر أن يأخذه معه. نزع سلك المصباح من المقبس وحاول أن يقحمه في إحدى الحقائب، ولما لم يسعه المكان لطول رقبته، كسر رقبة المصباح وغادر.




رباه..

شعر: إبراهيم بن محمد الدامغ

رباه كم لك في الخليقة من يدٍ
تولي، وتمنح دونما إقتارِ
أنت الكريم وفي رحابك مطمحي
فامنن عليّ بعصمة الأبرار
وامنح فؤادي من رضاك مناعةً
فلقد أشاح بنكسة، وعثار
عصفت به الأقدار وهي حقيقة
فطوت شقائق روضه المعطارِ
وجرت بزاهره إليك محبةً
فنفحته بعطائك المدرار
ومنحته بجلال نورك مورداً
يزهو به في موكب الأخيار
وسقيته كأس الشهادة وامقاً
مسراه في شهدائك الأطهار







فجـــرت بـــه كـــفّ النعـــيم نديّـــة
مـــن فـــيض عطفـــك نحـــو خـــير قـــرار

ونفحـــــت كـــــل مهلـــــل، ومؤمّـــــل
غـــــضّ الإهـــــاب حـــــلاوة الإبكـــــار

ويـــــد الحفـــــيّ لـــــدى رضـــــاك نجيّـــــة
عشـــقت رحابـــك نهلـــة الإبـــدار

عرجـــت إليـــك بروحهـــا، ورواحهـــا
فانشـــر بنـــورك ومضـــة الأبصـــار

واغمـــر شـــهيدك بـــالنعيم فإنـــه
أســـرى إليـــك معطّـــل الأوزار

يســـتعذب العمـــل الجليـــل ببســـمة
ويعـــين كـــلّ مغلّـــب محتـــار

ويجـــود بـــالبر الكـــريم، وإنـــه
لمطهّـــــــــــــر الأردان، والأزرار

للخـــير فيـــه مـــوارد ســـلفيّة
طافـــت بعـــارف مـــورد الأنصـــار

فارقتُـــه ويـــدي بـــه مـــبرورة
فثـــوى علـــى زنـــدي وريـــق ثمـــاري

يـــا ربّ أنـــت لكـــل مـــا أمليتَـــه
في صـــفحة الغيـــب - العلـــيمُ البـــاري







لـــك مـــا وهبـــتَ ومـــا أخـــذتَ وحسبنا

مـــن فـــيض عطفـــك نفحـــة المختـــار

إن كنـــتَ قـــد أبليـــتني برزيّـــةٍ

فأنـــا إليـــك ململـــم الأطمـــار

يـــومي رهـــين في يـــديك ومـــا غـــدي

إلاّ إليـــك محـــرّر الأقـــدار

فلـــئن ثـــوى زنـــدي بفقـــد وريـــده

وثكلـــت أنبـــل صـــبيتي، وصـــغاري

فلأنـــت أعلـــم بالـــذي يجـــري ولـــي

في نـــور علمـــك أعـــذب الأخبـــار

قلـــبي إليـــك وفي رحابـــك خاشـــع

مـــا جـــنّ ليـــل ســـارب بنهـــار

يطـــوي علـــى بلـــغ الحيـــاة جناحـــه

ألقـــاً لـــذاتك عـــالم الأســـرار

ويقـــين حكمـــك مـــورد أوليتـــه

للعـــالمين بجنـــة أو نـــار

وجميـــل عفـــوك جلـــوة، وتحيـــة

للطيـــبين بحظـــوة، وجـــوار

فـــاخلع علـــيّ رداء عطفـــك واســـقني

مـــن عَـــرف حبـــك ريـــق الإدرار




يوميات زوجة

إمرأة بلا بيت

بقلم:
شذا عبد العزيز

رغم أني أعلم الكثير عن الحياة الزوجية الناجحة من خلال الكتب العديدة التي قرأتها.. لكن الواقع يختلف تماماً والتوفيق في الحياة الزوجية أو الحياة عموماً هبة الله سبحانه وتعالى لمن يشاء من عباده بالإضافة إلى جهد الإنسان لإنجاح هذه الحياة وأتذكر في هذا المجال بيت شعر شهير يقول ما يعني:

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجني عليه اجتهاده

أي لا بد أن يكون هناك عون إلهي لنا كي تنجح جهودنا في أي مجال من مجالات الحياة وليست فقط في مجالات محددة..

تزوجت من شاب يماثلني في العمر عقب تخرجي من الجامعة، ويعمل في مجال عملي نفسه، وقد أعجبت به لأخلاقه والتزامه الديني، وحين جاء هذا الرجل خاطباً لي لاحظت منذ البداية شدة التصاقه بأمه ومحاولته إرضاءها في كل كلمة يقولها، كما لاحظت أن أمه شخصية مسيطرة وأن والده على العكس رجل هادئ يترك لها أمر الحديث عن الزواج ومتطلباته..

لفت هذا الأمر نظر أبي فحذرني من الارتباط بهذا الرجل لأنه طفل في الواقع لم ينفصل بعد عن تأثير الأم وشخصيتها وقال لي أبي بالحرف الواحد: أعتقد أنه غير مناسب لك لأنه بلا شخصية، وكل تصرفاته وقراراته نابعة من شخصية أمه..

في الواقع كان اقتناعي بالرجل كبيراً واعتقدت أنني أستطيع تغيير بعض عاداته بعد الزواج.. وكان الانجذاب العاطفي سبباً في أن

أرتبط به معتقدة أن الحب هو أهم ركائز الزواج..

ووافق أبي على مضض وتم الزواج ووافقت أن أعيش في بيت واحد مع أم زوجي وأبيه لأنه وحيدهما.. وقد رغبت في أن أنال ثواب بر الوالدين.. كما أن زوجي.. من جهة أخرى - كان لا يستطيع العيش مستقلاً عن والديه خاصة وهما يحتاجان فعلاً لوجوده بينهما.. في داخلي كنت سعيدة واعتبرت أن الله رزقني بأم ثانية وأب ثان.. لكن أم زوجي للأسف لم تعتبرني ابنة لها، فبدأت بإلغاء شخصيتي تدريجياً في بيتي بل في قلب غرفتي.. ترفض أن أتدخل في ترتيب أثاث البيت.. أو وضع قائمة الطعام.. وحتى اختيار ملابس زوجي على ذوقها وطعامنا على ذوقها وبطريقتها.. ترفض طريقتي في طهي الطعام وتحاول أن تفرض عليّ طريقتها.

في الوقت نفسه كان والد زوجي رجلاً هادئاً يلزم غرفته أكثر الوقت ويقضي وقته إما في القراءة أو مشاهدة التلفاز، وكان لطيفاً جداً معي حنوناً ورقيقاً، وكم شعرت تجاهه بالشفقة لأنه ليس قوياً في شخصيته مثل والدة زوجي..

كان بينهما فارق سن يصل إلى عشرين عاماً.. ولفت نظري أنه يتنازل عن رأيه لإرضاء زوجته المسيطرة، بل ويطلب مني أن أوافقها على كل ما تقول أو تفعل تجنباً للنكد والمشكلات.. لم يكن بيدي شيء آخر، فعملت بنصيحة عمي وهذا لأني أريد الحياة بسلام فعمدت على إرضاء والدة زوجي وتنفيذ أوامرها وأناديها بأمي.. بينما في المقابل كانت هي تلغي شخصيتي ووجودي في قلب بيتي وقلب زوجي أيضاً ليظل حب زوجي واهتمامه لها وحدها..

والأكثر من هذا أنها حاولت أن تعزلني عن زوجي أكثر الوقت ليقضي زوجي معها أكثر اليوم بعد عودته من العمل.. كان زوجي مسالماً مطيعاً لأمه وقد عودته هي على العودة إليها في كل الأمور حتى الخاصة بي وبه لاستشارتها، وهكذا وجدتها بكل الحزم تطلب مني الذهاب للطبيبة حتى يتبين سبب تأخر الحمل ستة أشهر بعد الزواج.. ثم تؤكد لي أنها تفضل إنجاب الذكور على البنات.. وكأن الأمر بيدي!!

كنت أحياناً أطلب من زوجي أن تحترم والدته خصوصياتي فثار عليّ واتهمني بأنني لا أحب أمه وأحب النكد حباً جماً..

وذات يوم دخلت المطبخ وقمت بتغيير نظامه فإذا بحماتي في اليوم التالي تنهرني ثم تعيد كل شيء إلى وضعه الأول وترفض أن تكون لي أي لمسات خاصة ببيتي لأنه كما قالت بيتها هي..

وأذهلني أن زوجي لا يحرك ساكناً ولا يحاول حتى الاعتراف أو الاعتذار عن أخطاء والدته في حقي.. ولو بيني وبينه حتى لا يجرح مشاعرها.. بل دائماً يجد لها المبررات ويطالبني أن أرضى بكل ما تفعل هي حتى يرضى عني..

وبلغ الأمر أنني سمعت والدته بالصدفة تأمره أمراً أن يأخذ مني راتبي وينفق هو على البيت لأن الرجولة تتطلب ذلك، في الوقت الذي كنت أرى فيه عمي والد زوجي ليس له أدنى سلطة على البيت وكل شيء يتم بتصرف حماتي.. سبحان الله، المرأة أحياناً

يكون لها منطقان متناقضان بحيث يحل لها من وجهة نظرها ما لا يحل لغيرها من النساء، وكم تعاني المرأة من امرأة مثلها خاصة إذا تضاربت المصالح والمشاعر، لقد اكتشفت أن زوجي منذ طفولته أسير شخصية هذه الأم القوية وأنه لا يستطيع الفكاك منها مما أثر عليه بضعف الشخصية حتى مع زملائه في العمل.. وهذا لأنه نشأ في بيت الكلمة الأولى فيه للأم.. ولا أدري كيف تحمل عمي هذه الشخصية الرهيبة؟ وهل يفرض عليّ أنا أيضاً أن أتحملها؟

كانت أم زوجي توغر صدر زوجي عليّ وكذلك عمي.. مما جعلني أشعر بأنني غريبة في بيتي.. بالأصح امرأة بلا بيت ولا رأي ولا كيان، فحتى غرفة نومي تجلس فيها أم زوجي بالساعات تتسامر مع زوجي ويمزحان ويضحكان ويتجاهلان وجودي، مما كان يدفع بي للجلوس في الصالون وحدي دون أن يشعر بي زوجي أو بما أعانيه..

بالتأكيد حاولت أن أوضح لزوجي مدى معاناتي من انعدام حريتي في قلب بيتي ومن تدخل أمه في كل شؤون حياتي، لكن زوجي لم يستمع إليّ ورد رداً قاطعاً: الإنسان له أم واحدة ولكن من الممكن أن تكون له أربعة زوجات.. وأضاف زوجي لن أتخلى عن أمي مدى حياتي وأنا لن أتركها وحيدة..

من قال لزوجي: إنني أطلب منه التخلي عن أمه وهو وحيدها.. فقط أريد بعض العدل والاحترام في المعاملة.. دون جدوى..

كنتُ أحياناً أمل نظام حياتي فأذهب إلى بيت أمي والعجيب أن زوجي كان يرحب بذلك ليمنح أمه القدر الأكبر من السعادة والحرية، ومهما غبت عند أهلي لا يبدي زوجي قلقاً من ذلك بل يكتفي بسعادته في إرضاء أمه وأن يجعل كل البيت تحت تصرفها، فأنا زوجة يمكن تبديلها لكن أمه لا عوض عنها.. كذلك كان دائماً يقول لي.. حتى سئمت هذه الأفكار.. ولم أدر ماذا أفعل هل أظل عند أهلي.. أم أطلب الطلاق؟

كان أبي علىحق حين حذرني من هذا الزواج.. تذكرت نصيحته لي وكيف أن الأبناء أحياناً بل كثيراً ما لا يرون الحقيقة مثلما يراها الآباء والأمهات..

على كل حال لن يجدي الندم الآن ولا بد أن أخبر أبي بكل تفاصيل حياتي وسأعمل برأيه هذه المرة..

جلست مع والدي وأخبرته بكل شيء.. وهنا قال والدي: دعيني أحدثه أنا.. وقد كان.. طلب والدي من زوجي مسكناً مستقلاً بجوار مسكن والده ووالدته أو حتى ملاصق لهما ليستطيع زوجي الإشراف والرعاية للطرفين.. كالعادة ذهب زوجي لأمه ليستشيرها وكالعادة رفضت.. فقال زوجي لوالدي إنه يرفض وأنه لا يملك الإمكانات لكي يؤسس بيتاً آخر .. بذكاء قام أبي بشراء شقة لي مجاورة لشقة أم زوجي ووالده ثم قمت بتأثيثها وفوجئ زوجي بهذا الحل الفوري من جانبي وأبي فاضطر لقبوله..

أنا في بيت وأمه وأبوه في بيتهما، وهو يقضي أكثر الوقت مع والديه بل ويبيت معهما أكثر الأسبوع وأنا أجلس وحيدة إلاّ إذا زارني أهلي.. وقد رضيت بهذا الوضع لأنه أرحم وأسلم من حياتي في بيت واحد مع هذه

المرأة حماتي التي حاولت التدخل في حياتي حتى بعد انفصالي ببيت مستقل لكني رفضت رفضاً قاطعاً..

إن زوجي دائم اللوم لي لأني لست على علاقة طيبة بأمه رقم أنها هي السبب ولست أدري ماذا أفعل لأرضي زوجي وأنا الطرف المظلوم في هذه القصة، فزوجي لا ينفق علي لأني موظفة ويعطي كل راتبه لأمه.. وتمر الأعوام ولا يجاملني حتى بهدية.. وكل وقته أو أكثره يقضيه مع أهله وليس معي.. ما هو المطلوب مني وقد أصبحت الآن مجرد زوجة بالاسم!

لقد تأخر الإنجاب عندي عدة أعوام الآن بلا سبب معين فقد أجمع الأطباء أنني سليمة بينما رفض زوجي الذهاب لطبيب للكشف، وهذه الأيام تلح عليه أمه أن يتزوج أخرى لتنجب له البنين لأن والدة زوجي لا تحب البنات وأسمع بنفسي تعليقاتها ووصفها لي أنني امرأة عقيم رغم تأكدها من أني لست كذلك.. وبعض الأطباء أفاد بأن الناحية النفسية تؤثر كثيراً على قدرة المرأة على الحمل والإنجاب، وأنا أشعر أن هذا الكلام ربما يكون صحيحاً، فزوجي شديد القلق من هذه الناحية ووالدته تصعد هذا الأمر عنده.. ووالدي يرى أنه في حال حياتي بهذا الشكل وحيدة أغلب الأيام.. يرى والدي أن الطلاق هو الحل ثم ربما يرزقني الله بزوج آخر أنجب منه وأعيش حياة راضية مستقرة بدلاً من هذه الحياة..

هذه المرة سأعمل برأي أبي.. وحين جاء زوجي فوجئ برغبتي في الطلاق.. رأيت الدموع في عينيه.. ولأول مرة ينفجر كياني بكل ما عانيته منه ومن والدته.. طلبت الطلاق لأنه ووالدته لم يرحماني لتأخر الإنجاب مع أنه ليس بسببي.. للأسف ذهب زوجي بأخذ رأي والدته في أمر الطلاق.. فقالت له والدته: الطلاق يجب أن يكون برأي الرجل ورغبته ومن الإهانة أن تطلب هي وتستجيب.. واقترحت والدة زوجي عليه ألاّ يطلقني إلاّ حين يرغب في ذلك فتركني كالمعلقة.. والآن لا أنا زوجة ولا مطلقة.. ولم يتغير زوجي عن سلبيته والتصاقه بأمه والأعوام تمر ولا أدري ماذا أفعل.. يبدو أن تغيير الطباع أمل مستحيل.. وهذا هو الثمن الذي أدفعه حالياً نتيجة عدم استماعي وعملي بنصيحة أبي منذ البداية.. ولله الأمر من قبل وبعد . لكن هل هذا يرضاه شرعنا المطهر؟ أعتقد أن ذلك لا يجوز شرعاً..

لمحة

كل النساء يتمنين ألاّ يظلمهن أحد.. لا رجل ولا امرأة.. لكنهن لا ينتبهن أحياناً إلى سلوك بعضهن تجاه الأخريات إنه الظلم عينه.. تظلم المرأة زوجة ابنها مع أنها لو وضعت نفسها مكانها لما قبلت هذا الظلم. وتظلم المرأة حماتها مع أنها لو تخيلت يوماً تصبح فيه حماة لما أقدمت على هذا الظلم..

مجرد أن تضع المرأة نفسها مكان المرأة الأخرى يؤدي إلى وضع الأمور في نصابها وتحجيم المشكلات بين الطرفين ومن أجل الدعاء: رب لا تجعلني ظالماً ولا مظلوماً.